



مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في نظرية الأدب وقضايا النقد

إعداد الطالب: عبد الرشيد هميسي

الموضوع :

إشكالية توظيف المصطلح النقدي السيميائي في الخطاب النقدي العربي المعاصر

- عبد الملك مرتاض أنموذجاً -

لجنة المناقشة:

رئيسا	أستاذ محاضر بجامعة منتوري - قسنطينة	الدكتور: يوسف وغليسي
مشرفا	أستاذ محاضر بجامعة فرحات عباس - سطيف -	د. حسان راشدي
ممتحنا	أستاذ محاضر بجامعة فرحات عباس - سطيف	د. عبد الغني بارة
ممتحنا	أستاذ محاضر بجامعة فرحات عباس - سطيف	د. فتيحة كحلوش

السنة الجامعية : 2011 - 2012 .



مقدمة

مقدمة

لكل علم موضوع وهدف ومنهج ,ومصطلحات خاصة به ينتجها وفقا لمنهجه ورؤيته,يحملها معرفته وخصوصيته المنهجية ولهذا احثل المصطلح مكانة كبيرة في تأسيس العلوم ,فلا يكاد العلم يقوم بدونه. ونظرا لهذه الأهمية رأى الباحث أن يتطرق لهذا الموضوع (المصطلحية) من زاوية انتقال المصطلح من ثقافة إلى أخرى, والتغيرات التي تطرأ عليه, المعوقات التي تفق دونه - أحيانا- في الوصول إلى الثقافة الأخرى .

لهذا اخذوا الباحث عنوانا مناسباً وهو:"إشكالية توظيف المصطلح النقدي السيميائي في الخطاب النقدي العربي المعاصر - عبد الملك مرتاض أنموذجاً ."

وقد انطلق هذا البحث من عدة إشكاليات : هل المصطلح عندما يتلقى في الثقافة العربية يفهم ويستعمل بالطريقة والحدود التي رسمت له في الثقافة الغربية ؟ أم أنه يتنازل قليلا عن حملته الغربية ويتفاعل مع الثقافة المستقبلية (العربية) ليحقق انتشاره وتداوله؟

- هل تتدخل ذاتية الناقد العربي في فهم وتوظيف المصطلحات النقدية الغربية ؟

كل هذا القلق المعرفي دفع الباحث إلى التنقيب و البحث في الكتب النقدية العربية و الغربية محاولا تجلية هذه الإشكاليات ولو بالشيء اليسير .

والسبب الثاني الذي دفع الباحث إلى اختيار هذا الموضوع هو الإعجاب بالدكتور عبد الملك مرتاض ناقدا جزائري معاصرا خاض غمار النقد المعاصر في كثير من كتاباته , فخط اسمه في قائمة النقاد العرب بالبند العريض , لهذا قرر الباحث أن يتناول كتابته النقدية ليحصل له شرف التعلم على يديه ولو عن طريق تأليفاته .

وقد سبق الباحث إلى مثل هذا العمل الدكتور : مولاي علي بوخاتم في كتابه : " الدرس السيميائي المغاربي " , الذي وازن فيه بين مرتاض , ومحمد مفتاح في : مصادر التلقي, والمنهج , والمصطلح ,

والقراءة . ولكن الباحث اختلف عن بوخاتم بتناوله لمصطلحات لم يتناولها بوخاتم , ودراسته إياها بشكل أعمق إذ رجع بهذه المصطلحات إلى جذورها عند العرب وعند الغرب ليصل في الأخير إلى مرتاض فيرى هل وافق مرتاض العرب أم الغرب في ذلك أم هما معا , وما الجديد الذي أضفاه على المصطلح .

وكذلك سبق الدكتور يوسف وغليسي الباحث في كتابه : "إشكالية المصطلح في الخطاب العربي الجديد" . وقد تطرق إلى عدة إشكاليات في المصطلحية , وطبق دراسته على عدد كبير من الدراسات النقدية العربية وكان من بين الدراسات , دراسات عبد الملك مرتاض , الأمر الذي جعله يوزع جهده على كثير من النقاد دون أن يتخصص في دراسات مرتاض كما فعل الباحث.

وكان الهدف من وراء هذا البحث , أن يعرف الباحث كيف أُستقبل المصطلح السيميائي الغربي المنشأ في الثقافة العربية من خلال عبد الملك مرتاض , وكيف تدخلت ذاتية هذا الناقد في هذا الاستقبال ثم في التوظيف .

وأن أبين أن لبعض هذه المصطلحات جذورا في نقدنا العربي القديم , تحتاج إلى مواجهة, وإعادة قراءة وقد اتبع الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي المقارن , فالباحث يصف ما هو موجود عند مرتاض من آراء وما في النقد العربي القديم وما في النقد الغربي الجديد, ثم يعتمد على التحليل ليصل إلى نتائج اجتهادية .

والخطة المتبعة في هذا البحث هي :

- الفصل الأول : هو في المصطلح والمصطلحية (الإشكاليات والضوابط) , أراد الباحث بهذا الفصل أن يكون مقدمة نظرية لموضوع البحث , تطرق الباحث فيه إلى المصطلح عند القدامى وكيف عرفوه وعرفوه . ثم المصطلح عند المحدثين . ثم إلى علما المصطلح وحدود هذا العلم ثم تقنيات وضوابط وضع المصطلح , ثم طرح قضية المصطلح والبيئة في مبحث وقضية المصطلح والترجمة في مبحث آخر .

- الفصل الثاني : أصول المصطلح السيميائي عند مرتاض .

المصطلحات التي تعرض الباحث لها هي : السيميائية - الشعرية / الأدبية - التناص - الخطاب - الانزياح - على الترتيب .

وكل مصطلح من هذه المصطلحات تعرض الباحث إلى تعريفه اللغوي والاصطلاحي ثم رصده عند العرب وعند الغرب , وممن استقى مرتاض هذا المصطلح .

- الفصل الثالث : توظيف المصطلح السيميائي عند مرتاض .

تعامل الباحث مع نفس المصطلحات السابقة الذكر في هذا الفصل لكنّه تعرض إلى توظيف مرتاض لها , وكيف فهمها , وما هي المصطلحات البديلة التي طرحها مرتاض في كتاباته النقدية , وما هي المصطلحات التي رفض أن تكون بديلة عن هذه المصطلحات مع رواجها في الساحة النقدية العربية , كما تعرض إلى قضية انتقال مرتاض من مصطلح إلى آخر وعزوفه عن المصطلحات التي كان قد استعملها هو في مساره النقدي كما جمع عدة مصطلحات عربية استعملها مرتاض مقابل مصطلح غربي واحد في جداول . وختم بحثه بخاتمة لخص فيها أهم النتائج التي توصل إليها .

وقد دفعه هذا البحث - بهذه الخطة - أن يعتمد على مجموعة من المصادر و المراجع .

يكتفي بذكر أهمها :

- حازم القرطاجني - منهاج البلغاء وسراج الأدباء

- عبد المالك مرتاض (نظرية النص الأدبي - أي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي - تحليل الخطاب السردي "معالجة تفكيكية سيميائية لرواية مركبة زقاق المدق" - نظرية القراءة - النص الأدبي من أين وإلى أين ؟ - بنية الخطاب الشعري)

- رشيد بن مالك - قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص .

- مولاي علي بوخاتم - الدرس السيميائي المغربي

- يوسف وغليسي - إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد .

وقد واجهته عقبة في هذا البحث متمثلة في صعوبة التوفيق بين التدريس كعمل والبحث , ولكن توفيق الله تدخل في هذا وكان رفيقهم في هذا المسار .

وإن كان هناك من فضل في هذا البحث فهو عائد إلى الأستاذ المشرف فقد تغمد الباحث بصبره طويلا , ووجهه بأقصى ما يملك من جهد , شكر الله له سعيه وجعله في ميزان حسناته .

وأتوجه بالشكر كذلك لأساتذة القسم و إدارته, وكل من ساعدني على إنجاز هذا البحث .

12 أوت 2011.

جامعة فرحات عباس سطيف.

الفصل الأول:

المصطلح و المصطلحية

الفصل الأول:

المصطلح والمصطلحية

المبحث الأول:

المفهوم والضوابط

أولاً - مفهوم المصطلح: Terma

المصطلحات مفاتيح العلوم، فما من علم إلا وله منظومة من المصطلحات تعتبر ركنا ركينا من بنيته، ولا سبيل لنا للولوج في خبايا العلوم وأغوارها إلا التوسل برزنامة مصطلحاتها، إذ هي مجموعة الدوال التي تكوّن مدلولاتها مضمون العلوم فالمصطلح يفوق الكثير في شحنته اللفظية العادية، ولا يمكن لعلم أو فن أن يتطور ما لم يضبط مصطلحاته ويدققها، فالعلم لا يستطيع أن يعبر عن مفاهيمه إلا عبر مصطلحاته.

فالعلم والمصطلح قطعة نقدية، وجود وجهها يستلزم وجود ظهرها، إذن فما مفهوم هذا المصطلح الذي يستلزم كل هذه الأهمية في الساحة

العلمية؟

1 المصطلح لغةً:

كلمة "مصطلح" مأخوذة من المادة اللغوية (صلح) الدالة على صلاح الشيء وصلوحه؛ أي أنه نافع، ففي المعجم الوسيط: "صلح الشيء:

الشيء كان نافعاً أو مناسباً، يقال: هذا الشيء يصلح لك"¹.

وفي لسان العرب: "الصلح: تصالح القوم بينهم، والصلح: السلم، وقد اصطلحوا وصالحو وأصلحو وتصالحو واصالحو..."².

¹ إبراهيم أنيس وآخرون - المعجم الوسيط - دار الفكر - بيروت (د.ت) مادة (صلح) ص 135.

² ابن منظور - معجم لسان العرب - دار صادر للطباعة والنشر بيروت 1995 مادة (صلح).

2 - المصطلح اصطلاحاً:

يعرفه المعجم الوسيط قائلاً: "اتفاق طائفة على شيء مخصوص ولكل علم اصطلاحاته"³.

ويظهر أنّ المعنى اللغوي العام من الاصطلاح هو الاتفاق والتفاهم والوضع، والظاهر

كذلك أنّ هناك اختلاف كان سائداً قبل الاصطلاح فلما دخل هذا الأخير زال الاختلاف.

فالمصطلح كما يعرفه "أحمد أبو حسن": "عبارة عن كلمة أو مجموعة من الكلمات تتجاوز دلالاتها اللفظية والمعجمية إلى تأطير تطورات فكرية وتسميتها في إطار معين تقوى على تشخيص وضبط المفاهيم التي تنتجها ممارسة ما تقي ل لحظات معينة فالمصطلح بهذا المعنى هو الذي يستطيع الإمساك بالعناصر الموحدة للمفهوم والتمكن من انتظامها في قالب لفظي"⁴.

إنّ بالمصطلح -قبل كل شيء- هو لفظ له في السّابق معنى ما، وعندما أريد لهذا ال لفظ أن يصبح مصطلحاً غير معناه وبُدّل، وكما يشير الباحث إلى أنّ اللفظ يخصّ اللغة والكلام، أمّا المصطلح فيخصّ العلم والفن.

يرفض محسن حسن عبد العزيز أن يكون المصطلح مجرد اتفاق أهل العلم أو الصناعة على مدلول خاص فحسب "بل إنّهُ اتفاق قائم على معايير، إنّ أي محاولة للتصنيف في أقسام ينبغي أن تكون قائمة على وجوه شبه أو خلاف في كل ما يدخل في القسم المفترض وتميّز عمّا عداه، ولهذا لجأ أهل الاصطلاح إلى التعريف لكي يجدوا به المعرف بحيث يكون جامعاً مانعاً"⁵.

بهذا التعريف يجنح محسن حسن عبد العزيز إلى تصنيف دائرة المصطلح، وإلى تحديده وضبطه بمعايير خاصة لكي لا يكون مانعاً وهذا يزيد من دقّة المصطلح وفعاليتّه.

وهذا الذي ذهب إليه عزّ الدّين إسماعيل عندما تحدث عن حركية المصطلح وعن ضرورة تحديد طبيعته المجاوزة، وترصيف خواصه المتبدّلة مهما استقرت حول نواة صلبة ثابتة، وقال بأنّ السياق الحضاري الميتالغوي هو الذي يضفي على المصطلح أقصى درجات الحركية الفعّالة، وكما وصف أنّ المصطلح أداة للتفكير قبل أن يكون أداة للتحليل⁶.

هذا عن ماهية المصطلح، أمّا عن مكوناته فإنّه يتكون من: شكل، مفهوم وميدان.

أ-الشكل: هو الوعاء اللغوي؛ أي اللفظ/الألفاظ، وهو الذي يحمل المفهوم، ويدعى المصطلح المتكون من كلمة مصطلحاً بسيطاً وعندما يتكون من أكثر من كلمة يسمى مصطلحاً مركباً.

ونمثل لذلك بمصطلح " البنية ":

³ إبراهيم أنيس وآخرون - المعجم الوسيط - مادة صلح ص 135.

⁴ أحمد أبو حسن: «مدخل إلى علم المصطلح» مجلة الفكر العربي المعاصر - ع61/60 - 1989 - ص 84.

⁵ محسن حسن عبد العزيز: «المصطلح العلمي العربي، المبادئ والآليات» مجلة فصول الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر ع 66 - 2005 - ص 62.

⁶ محمد بلقاسم: «المصطلح النقدي الأدبي المعاصر -الإشكالية والتطبيق» ص 14.

ب-المفهوم: وهو الدلالة الذهنية التي يقصدها المصطلح، فمصطلح البنية مثلا مفهومه هو: " كل مكون من ظواهر متماسكة , يتوقف كل منها على ما عداه , ولا يمكنه أن يكون ما هو إلا بفضل علاقته بما عداه "7. ودقة المفهوم تتأتى من أن يكون:

1- محددًا واضح المعالم الدلالية.

2- أن تكون بين الشكل الاصطلاحي والمعنى علاقة إشارية عرضية.

ج-الميدان: وهو مجال النشاط الذي يُستخدم فيه، فالمصطلح الواحد يختلف باختلاف المجالات التي يستعمل فيها، فمجال مصطلح البنية مثلا هو: النقد البيئي .

ولا تتأكد قيمته الحقيقية إلا بـ⁸:

1- التوحد: أن لكل مفهوم اصطلاحي شكلا خاصا لا يشاركه فيه أحد، وأن لكل شكل اصطلاحي مفهومًا واحدا لا يتعداه.

2- الشبوع: انتشار المصطلح في ميدان استعماله لكي ينأى عن الذاتية.

مع كل هذه التحددات وهذه الضوابط الصارمة والهدف منها دقة المصطلح وفعالته في منهج الدراسة وفي تطور العلم، إلا أن جينات البيئة التي ولد فيها تبقى عالقة به مهما تحوّل عنها وانتقل إلى بيئات أخرى، وسنناقش هذه القضية بالتفصيل في مطلب آخر.

كما يلاحظ الباحث من خلال عرضه للتعريفات أن اللغويين والنقاد المحدثين نضح عندهم المصطلح وضبطوا مفهومه ودققوه.

ثانيا: المصطلح عند القدامى

لا غرو أن قضية المصطلح قضية قديمة قدم العلوم والمعارف الإنسانية، فحيثما وجد العلم وجد المصطلح، والعرب القدامى بدؤوا احتراف النقد الأدبي في القرن الثاني للهجرة - وبشكل ناضج- لذلك نجد أن أغلب المصطلحات النقدية ظهرت آنذاك، ف قد كان النقاد يشتغلون بمجموعة من المصطلحات الموحدة فيما بينهم، إلا أنه لم يتسلم بعض المصطلحات من أن تعرض لشيء من الازدواجية في الاستعمال، فهذا قدامة بن جعفر يأخذ على ابن المعتز مخالفته لبعض المصطلحات القديمة للفنون البلاغية قائلا: "فأنه وإن كان اللقب يصح لموافقته معنى الملقبات، وكانت الألقاب غير محظورة، فأني لم أكن أحب له أن يخالف من تقدمه مثل أبي عباس عبد الله بن المعتز وغيره ممن تكلم في هذه الأنواع وألف فيها وقد سبقوا إلى التلقب وكفوه المؤونة"⁹.

وعند رصد مفهوم القدامى للمصطلح، نجد أن الشريف الجرجاني يعرفه على أنه: "عبارة عن اتفاق قوم على تسمية شيء باسم ما، ينقل عن موضعه الأول"¹⁰.

⁷ صلاح فضل - نظرية البنائية في النقد الأدبي - مؤسسة مختار للنشر والتوزيع - القاهرة , مصر 1992-ص: 176

⁸ محمد بلقاسم: «المصطلح النقدي الأدبي المعاصر-الإشكالية والتطبيق» مجلة النص والنّاص، ع 04-05، أبريل جويلية 2005 جامعة

جيبل ص: 14-15

⁹ أبو القاسم الأمدي - الموازنة بين أبي تمام والبحتري - وزارة الثقافة والإعلام - العراق 1980، ص 45.

¹⁰ علي بن محمد الشريف الجرجاني - كتاب التعريفات . مكتبة لبنان . بيروت . ط 1985 ص 28.

أما ابن خلدون فهو يعتبر المصطلح آليات تختبر لتحقيق غايات في اكتساب المعارف، وأن لكل مصطلحاته الموافقة لطبيعته و "أنّ المصطلحات ليست غاية في حدّ ذاتها لأنها تختلف من علم لآخر ومن صناعة لأخرى، وهدفها تقريب العلوم من طلابها"¹¹.

ونلمس من خلال هذه النظرة أنّ ابن خلدون يركز ويهتم بهدف المصطلح أكثر من اهتمامه بماهيته وضوابطه، وهو يبدي تخوفه في المقدمة- من اختلاط المصطلحات بالعلوم "والاصطلاحات في تعليم العلوم مخلطة على المتعلم حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم"¹².

والمتتبع لتاريخ اللغة يجد أنّ الإسلام أحدث أثرا خاصا في توجيه بعض معاني الكلمات وفي استحداث بعض المفردات التي لم تكن في الجاهلية، فهذا الجاحظ (255هـ) يقول: "وأسماء حدثت ولم تكن، وإنما اشتقت لهم من أسماء متقدمة على التشبيه مثل قولهم لمن أدرك الجاهلية والإسلام مخضرم ... ومن المحدث المشتق اسم منافق لمن راعى بالإسلام واستتر بالكفر وأخذ ذلك من النافقاء والقاصعاء والراماء"¹³.

وهذه الاصطلاحات الجديدة استدعاها التغيير شبه الجذري على مستوى الثقافة، من عهد الجاهلية إلى عهد الإسلام، إذن فتغيير العادات والمعتقدات والطقوس والمفاهيم الدينية يورث تغييرا وتجديدا على مستوى المصطلح، وذلك كي يواكب الجديد الذي طرأ على ساحة الحياة بجميع شؤونها ومجالاتها.

وسأقوم الآن بمررد عناوين بعض الكتب التي تناولت قضية المصطلح ولو بشكل جزئي:¹⁴

1. كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية الذي ألفه أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي (322هـ) وعالج فيه دلالات الألفاظ وتطورها والأسماء التي اصطلمها المسلمون بمدلولات جديدة ومعان غير معروفة من ذي قبل وقد عالج فيه ما يقارب الأربع مئة (400) لفظة.
2. رسالة الحدود لجابر بن حيان (200هـ) عالج فيها خمسة وأربعين مصطلحا.
3. رسالة الحدود والرسوم للفيلسوف الكندي (252هـ) عالج فيها مائة وتسعة مصطلحا فلسفيا منها تسع وخمسون استدرکها على جابر بن حيان وتعدان الرسائلتان أولى المحاولات في المجال الاصطلاحي الفلسفي.
4. كتاب البديع لعبد الله بن المعتز (296هـ) تناول فيه الكثير من المصطلحات البلاغية.

وقد كان القدماء يستوحون مصطلحاتهم من البيئة، فمصطلح "عمود الشعر" مثلا هو من مصطلحات النقاد القدامى إذ يعد العمود في وعي العربي " الأساس الذي يقوم عليه بناء البيت الذي يسكنه، فإن هو استقام قام البيت وإن اختل تهاوى البناء ووقع ... والبيت بالنسبة للعربي في بيئته الصحراوية يمثل رمزا الطمأنينة وعلامة على الاستقرار وتأكيد للذات "¹⁵، وهذا الارتباط العضوي بين العمود والبيت انتقل إلى الوعي اللغوي فجاء عمود الشعر لأنّ الشعر لا يقوم إلا إذا توفر فيه الوزن والقافية والأسباب والأوتاد.

ويخلص الباحث إلى أنّ العرب القدامى كان لهم اهتمام واضح بقضية المصطلح لأن العلوم المنشأة/المستور دة التي كانوا يتداولونها فرضت عليهم تحديد مصطلحات خاصة سواء من ناحية النشأة أو من ناحية الاستيراد، وأنّ اهتمامهم بالمصطلح لم يصل بهم إلى درجة التقعيد لعلم المصطلح، فقد كانت الضوابط والمبادئ التي تصطبح المصطلحات سطحية موجزة.

¹¹ عبد الرحمان بن خلدون - المقدمة - تح: عبد الواحد وافي - ج3 - دار النهضة مصر، ط3، 1979، ص 1240.

¹² ينظر المرجع نفسه، ص 1240.

¹³ أبو عثمان الجاحظ - الحيوان - تح: عبد السلام هارون ج 1 - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة مصر، ط2، 1965، ص ص 331 - 339.

¹⁴ محمد بلقاسم - «المصطلح في النقد العربي المعاصر - الإشكالية والتطبيق» ص 19.

¹⁵ عبد الغني بارة - إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر - الهيئة المصرية للكتاب - مصر القاهرة، ط1، 2005، ص 287.

ثالثا - علم المصطلح Terminologie

قدّمت اللسانيات العامة للبحث اللغوي فوائد عدّة من ناحية المنهجية وكذا بتزويده بمصطلحات لها دقّة عالية تفرع عنها لسانيات أخرى تسمى

اللسانيات التّطبيقية والتي كان هدفها تجسيد مبادئ اللسانيات العامة ميدانيا، فكانت هذه اللسانيات وغيرها من الظروف سببا في بزوغ علم المصطلح (La

Terminologie)، وكثيرا من العلوم الأخرى كاللسانيات النفسية والترجمة وتحليل الأخطاء.

فما هو هذا العلم وما هو موضوعه، وإلى ما يصبو؟

يعدّ هذا العلم من العلوم الحديثة الظهور ، حيث ظهر في نهايات القرن الثامن عشر في ألمانيا ، أما ظهور مصطلح " Terminologie " في فرنسا كان سنة 1801م ويعد النمساوي " أوغين فوستر " مؤسس علم المصطلح المعاصر .¹⁶

علم المصطلح هو العلم الذي يهتم بدراسة الأسس العلمية في وضع المصطلح وهو كما يصفه فوستر : "يدرس طبيعة المفاهيم وخصائصها وعلاقات بعضها ببعض ونظمها ووصفها وطبيعة المصطلحات، ومكوناتها، وعلاقاتها الممكنة، واختصاراتها والعلامات والرموز الدالة عليها (...) وتوحيد المفاهيم والمصطلحات ومفاتيح المصطلحات الدولية وتدوين المصطلحات ووضع معجماتها ومداخلها الفكرية من حيث تتابعها وتوسيعها"¹⁷.

إذن، فعلم المصطلح هو بحث علمي وتقني يهتم بدراسة المصطلحات العلمية والتقنية دراسة علمية دقيقة ومعتمدة من حيث المفاهيم وتسميتها وتقييمها، وهو فرع من فروع علم اللسان، لكن نظريته عكس نظرية الأسنوية إذ أنّ هذه الأخيرة تهتم بدراسة الكلمة اللغوية من ابتداء من الدال نحو المدلول أمّا علم المصطلحات فيهتم بدراسة مصطلح علمي تقني ما من المدلول نحو الدال .

يهدف علم المصطلح إلى تنظيم المعارف (ترتيب التصورات والمفاهيم) في شكل منظومات ونقل المعرفة والمهارات والتقنية الخاصة وصياغة المعلومات التقنية والمهنية (النصوص الخاصة) وترجمة النصوص الخاصة إلى اللغات الأخرى وتخزين المعلومات واسترجاعها¹⁸.

ويشير علي القاسمي إلى أن علم المصطلح علم ليس مستقلاً بذاته " لأنه يرتكز في مبناه

ومحتواه على علوم عدة أبرزها علوم اللغة والمنطق والإعلامية وعلم الوجود ،وعلم المعرفة

وحقول التخصص العلمي المختلفة¹⁹ .

وقبل أن يحصي الباحث وظائف وخصائص علم المصطلح لا بدّ من الإشارة إلى المرتكزات الأساسية الثلاثة التي وضعها المسدي لعلم المصطلح وهي : الثوابت المعرفية ، والنواميس اللغوية ، والمسالك النوعية .

أما الثوابت المعرفية فيقصد بها طبيعة العلاقة المعقودة بين كل علم من العلوم ومنظومته الاصطلاحية وهي كعلاقة الدال بمدلوله ، ووجه الدرهم بظهره .

ويقصد بالنواميس اللغوية اقتضاء تحديد نوعية اللغة التي تتحدث عن قضية المصطلح ضمن دائرتها وما تختص به من فروق تنعكس على آليات صياغة الألفاظ ضمنها ، فاللغة العربية مثلا ليست كاللغة الفرنسية في آليات إنتاج مصطلحاتها .

والمرتكز الثالث هو المسالك النوعية ويقصد بها مجال الاختصاص المعرفي ، فكل حقل معرفي خصوصيته في إنتاج جهازه المصطلحي ، فليس النقد كالطب وليس كالهندسة وهلم جرا²⁰.

ويمكن في الأخير أن نحصي خصائص ووظائف علم المصطلح في عدّة نقاط:

¹⁶ يوسف وغليسي - إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد - منشورات الاختلاف - الدار العربية للعلوم - الجزائر العاصمة الجزائر ط 1 2008 - صص 28- 29 .

¹⁷ محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح- دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع (ت ط) ص 19-20.

¹⁸ محمد حسن عبد العزيز: «المصطلح العلمي المبادئ والآليات» ص 61.

¹⁹ علي القاسمي - مقدمة في علم المصطلح - مكتبة النهضة المصرية - مصر القاهرة ط2 1987- ص06.

²⁰ عبد السلام المسدي - المصطلح النقدي - مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع - تونس - 1994 - ص10 .

- 1 - " تتطلق المصطلحية (علم المصطلح) من المداليل للوصول إلى الدال عكس علم الألسنية.
 - 2 - تختص بالمفردات المحددة المكتوبة دون المستويات اللسانية الأخرى.
 - 3 - تتميز بالبحث الآتي للتعبير عن مصطلحات حضارة العصر.
 - 4 - تتصف بالتوجه المعياري في تصنيف المصطلحات وتوحيدها وتقييمها الدولي.
 - 5 - تقوم معاجمها المختصة على أساس التصنيف وفق مجالات الاختصاص.²¹
- وقد ذكر الدكتور يوسف وجليسي أن للمصطلح خمس وظائف:
- 1 - " الوظيفة اللسانية: يكشف عن حجم عبقرية اللغة واتساع جذورها المعجمية.
 - 2 - الوظيفة المعرفية: لا وجود لعلم دون مصطلح.
 - 3 - الوظيفة التواصلية.
 - 4 - الوظيفة الاقتصادية: من خلاله يمكننا تخزين كم هائل من المعرفة.
 - 5 - الوظيفة الحضارية: اقتراض اللغات بعضها من بعض، فهذه المصطلحات المقترضة نظل شاهدا على حضور لغة حضارة ما.²²

²¹ أحلام الجيلالي: «نحو دليل تشريعي عربي لترجمة المصطلح العلمي» مجلة المجلس الأعلى للغة العربية - الجزائر العاصمة ص 191.

²² يوسف وجليسي - إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد- ص 42 - 43 - 44.

رابعا - تقنيات وضوابط وضع المصطلح

الشائع عند اللسانيين أن العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية عرفية ولهذا اختلفت اللغات ولهجات اللغة الواحدة، وليس من سبب لدينا يبين لنا لماذا أُختير دال بعينه لمدلول بعينه.

إنَّ المتكلمين في مجتمع معين يستخدمون الكلمات نفسها للإشارة للأشياء نفسها، ويستخدمون أنواعا من التراكيب للتعامل بها في مواقف متشابهة، وقد جرى شرّاح أرسطو من الفلاسفة المسلمين على ما اختاره، وقالوا بأنَّ العلاقة بين الدال والمدلول قائمة على الاتفاق والتواطؤ، وأنكروا المناسبة الطبيعية في ذلك.

والتغير اللغوي خاضع للتغير الاجتماعي، ويلحق عناصر اللغة المختلفة: الأصوات، الأبنية، الدلالات، وأسرعها التغير الدلالي، لذلك قال الدكتور عبد الكريم جبل: " التغير الدلالي **semontic change** هو التغير التدريجي الذي يصيب دلالات الألفاظ بمرور الزمن، وتبدل الحياة الإنسانية فينقلها من طور إلى طور آخر، ولقد غدا من البداهة في علم اللغة الحديث أن اللغة - شأنها شأن الكائن الحي والظواهر الاجتماعية - تخضع لناموس التطور والتغير"²³.

أما عن اللغة العلمية فهي مطابقة للعلم الذي تتناوله، وهي محدودة الألفاظ واضحة المدلولات بسيطة الأسلوب قابلة للنمو، ويشكل المصطلح العلمي فيها لبنة أساسية بحيث لا وجود لها بغيره.

فما هي الضوابط التي تضبط هذا المصطلح كي لا يحيد يمنة ويسرة عن اللغة العلمية والعلم الذي يتناوله، وما هي سبل توليد وتحوير هذا المصطلح كي يلائم العلم الذي هو بصدده؟

ويُراعى في وضع المصطلح ما يلي:

- 1 - " أن يكون لفظاً لا عبارة حتى يسهل تداوله.
- 2 - أن يكون محدّد المعنى تحديداً تاماً (لهذا يحسن تجنب الاشتقاق من ألفاظ الحياة العامّة).
- 3 - أن تكون الألفاظ بطبيعتها قابلة للتسويق العلمي.
- 4 - أن تكون قابلة للنمو والزيادة.²⁴

ويراعى كذلك ما يلي:

- 1 - " البحث عن اصطلاح عربي قديم مطابق للمفهوم الجديد .
 - 2 - البحث عن لفظ قديم قريب من المعنى الحديث فيبدل معناه قليلا ويطلق على المعنى الحديث ."²⁵
- والملاحظ أن هذا الاقتراح الثاني سيحدث بلبلة في مداليل المصطلحات، واللغة العربية غنية بأليات إنتاج المصطلحات فلماذا اللجوء إلى مثل هذا الحل!
- 3 - " تجنّب تعدّد الدلالات للمصطلح الواحد داخل الحقل الواحد وتفضيل اللفظ المختص على اللفظ المشترك.

²³ عبد الكريم محمد حسن جبل - في علم الدلالة - دار المعرفة الجامعية - مصر ، 1997 ، ص33.

²⁴ محمد حسن عبد العزيز: "المصطلح العلمي العربي: المبادئ والآليات" - ص 60.

²⁵ جميل صليبا - المعجم الفلسفي - ج1- دار الكتاب اللبناني بيروت - ط1 1973- ص 12.

- 4 - تفضيل الكلمات العربية الفصيحة المتواترة على الكلمات المعربة.
- 5 - تفضيل الصيغة الجزلة الواضحة وتجنب النافر المحذور من الألفاظ.
- 6 - مراعاة ما اتفق المختصون على استعماله من مصطلحات ودلالات علمية خاصة بهم معربة كانت أم مترجمة.
- 7 - وعند التعريب يراعى ما يلي:
أ - يرجع ما يسهل نطقه في رسم الألفاظ المعربة عند اختلاف نطقها في اللغات الأجنبية.
ب - التغيير في شكل اللفظ حتى يصبح موافقاً للصيغة العربية الفصيحة.²⁶
ويراعى كذلك ما يلي:

1 - " يستحسن وجود مناسبة بين المدلول والمصطلح من الوجهة التأثيلية.

2 - تفضيل الشائع على الشاذ و العالمي على المحلي أو الجهوي.²⁷

ويراعى كذلك ما يلي:

- 1 - " مراعاة الأفراد اللفظي بمثله؛ أي ترجمة المصطلح المفرد بمفرد مثله (مصطلح (الصّمات) ترجمه لـ aphasia بدل "احتباس الكلام").
 - 2 - توخي وضوح الدلالة وتجنب إبهامها.
 - 3 - مقابلة التعدد اللفظي بمثله في الترجمة.
 - 4 - الترخّص في التّحلل من القديم إذا لم تتوافر صلاحيته للاستعمال الاصطلاحي الحديث.
 - 5 - إثارة الألفاظ نادرة التداول والغرض من ذلك هو تخصيص الكلمة بمعناها العلمي.
 - 6 - يعرف المصطلح تعريفاً بيّناً واضحاً.²⁸
 - 7 - " تجنب الألفاظ العامية .
 - 8 - تجنب استعمال السوابق واللاحق الأجنبية , لأن اللغة العربية لغة اشتقاقية وليست إصاقية.²⁹
- ويراعى كذلك:

" استخدام الوسائل اللغوية في توليد المصطلحات العلمية الجديدة ومنها:

- أ - إحياء مصطلحات التراث وإعطائها صبغة حديثة.
 - ب - الاشتقاق: هو أن تستخرج كلمة من كلمة وأن يكون هناك تناسب فيما بينهما في اللفظ والمعنى (عمل/عامل/عاملون)، وتتضمن المشتقات الحروف الأصلية في الكلمة.
 - ج - المجاز: لفظ يستعمل في غير ما وضع له , و كثير من المستحدثات توضع للحاجة إليه، ولكن بمرور الزمن هناك ما يندثر . ومنه المعنى الحقيقي والمعنى المجازي.
 - د - التعريب: ويشمل تلك المصطلحات الأجنبية التي تدخل اللغة العربية وتخضع للأبنية وللحروف وللموسيقى، حيث تصبح جزءاً من البناء العربي ولكنه كما يقول محمد عناني هذه التقنية ما تزال مثار جدل كبير.³⁰
- إضافة إلى هذا هناك³¹:

²⁶ فاضل ثمر - اللغة الثانية - المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء - بيروت - ط1- 1994 - ص 172 - 173 - نقلا عن: عبد الغني بارة - إشكالية تأصيل الحداثة- ص 284.

²⁷ أحلام الجليلي: "نحو دليل تشريعي عربي لترجمة المصطلح" ص 197

²⁸ محمد حسن عبد العزيز "المصطلح العلمي العربي: المبادئ والآليات" - ص 63 - 64.

²⁹ أحمد مطلوب - معجم مصطلحات النقد العربي القديم - مكتبة لبنان ناشرون - بيروت ط1- 2001 ص ص 4-3.

³⁰ محمد عناني - المصطلحات الأدبية الحديثة - الشركة المصرية للنشر - لوجمانة الجيزة - ط3 - 2003 - ص 17.

- هـ - التّوليد: كلّ لفظة تعطي معنى جديدا غير المعنى الذي كانت تعرف به في اللغة العربية قديما (السّيارة مثلاً).
- و - الدّخيل: كلّ كلمة أجنبية لا تخضع للمقاييس العربية، وتبقى على حقيقتها مثل أسماء الأعلام الأجنبية والمستحضرات الكيمائية، وذلك لعدم إيجاد المقابل العربي لها (البنترول (Pétrole)).
- ز - النّحت: نوع من الاشتقاق وهو دمج كلمتين أو أكثر للحصول على كلمة شريطة أن يكون هناك تناسب (البسملة- الحوقلة - ...)، ولكن " العربية من أسرة طبيعتها التّوالدية غير الطّبيعيّة التّحتية، وإّما محركها التّكاثر هو الاشتقاق كما أسلفنا لذلك كان النّحت حدثا عارضاً في اللسان العربي وتكيفاً طارئاً على جهازه"³².
- هذه بعض الضوابط التي تُقترح لوضع المصطلح النّقدي أو لنقله مع الإشارة إلى مراعاة خصوصيّة المصطلح، فليست كلّ المصطلحات قابلة للإدعان لهذه الشروط بحرفيتها، ومع هذه الضوابط تبقى ذاتية الواضع ترسم بصماتها، فهناك من المبدعين يعطي الأولوية للاشتقاق عن غيره من الآليات، وهناك من يفضل التعريب، وهناك من يفضل النّحت، وهناك من لا يقتنع ببعض هذه الشروط ويستبدلها بغيرها، وهكذا يبقى منفذ الذاتية مفتوحاً.

³¹ النوي لمنور: "مسألة المصطلح في الترجمة العلمية والتقنية" - مجلة المجلس الأعلى للغة العربية - الجزائر العاصمة - الجزائر - 2004 - ص 131 - 140.

³² عبد السلام المسدي - المصطلح النّقدي - ص 25.

المصطلح في الخطاب النقدي العربي المعاصر

أولاً: المصطلح والبيئة

البيئة هي الإطار الزماني والمكاني الذي يحتوي أفكاراً وتقاليد ومعتقدات والتزامات دينية وطقوساً معينة، حتى إن المعرفة العلمية وغيرها التي تنتجها هذه البيئة تلونها بلونها وتحملها حمولتها الفلسفية والفكرية وغيرها، الأمر الذي يجعل من هذه المعرفة ذات خصوصية خاصة بهذه البيئة، حيث يصعب التعامل معها في بيئة ثانية مغايرة لها في المعتقدات والأفكار، ودرجة الصعوبة متناسبة تناسبا طردياً مع درجة اختلاف البيئة / الثقافة المصدر مع البيئة/الثقافة المتلقية.

فكلما كان الثباين في الأفكار والمعتقدات بين الثقافتين أكثر كان التعامل مع هذا النتاج أعوص وأصعب، والعكس بالعكس.

ومنذ أن وفدت المناهج النقدية الأدبية الغربية على العرب، انقسم النقاد والأدباء إلى ثلاثة صنوف:

صنف رفض هذه المناهج جملة وتفصيلاً، وذهب ينقب في سلبياتها ويطعن فيها، وهم أصحاب النقد المأثور (حسب عبد السلام المسدي). وهناك من تبني هذه المناهج بحذافيرها دون تنقية أو مراعاة للفوارق الحضارية والثقافية، وهؤلاء هم الحداثيون. ومنهم من أمسك العصا من وسطها واعتبر أن هذه المناهج شر وخير في آن واحد، وأخذ خيرها وترك شرها.

والحقيقة التي لا مفر منها أن هذه المناهج لا بد لقيامها من ترسانة مصطلحية توضح أهدافها ومعانيها و جديدها، ولذلك انتقل المصطلح مع المنهج وحدث الاضطراب، حيث اختلف النقاد في استعمال المصطلح وذلك لغموض مفهومه واختلفوا كذلك في استعماله بعد تعريبه أو ترجمته، أم استعماله بعد أن يُبحث له عن مقابل أم يستعمل بلغته الأصلية ..؟ (ومثال ذلك مصطلح الشعرية الذي سيتعرض إليه الباحث في الفصل الثاني) فأصبح المصطلح عويصاً بين يدي النقاد مستعصياً على الأذهان والأقلام .

والناظر للثقافات أو للحضارات السابقة أو المعاصرة يجد أن هناك بوتقة ومنفذ تطل من خلاله هذه الثقافات على بعضها البعض فهي تتناقل وتتبادل بعض التناجات وتتلاقح وتتراسل فيما بينها ولا يضر ذلك شيئاً فلا ضاعت هوية هذه ولا انتحلت هوية الأخرى.

والثقافة الغربية حالياً هي ثقافة الغالب، وثقافة العرب هي ثقافة المغلوب، والمغلوب مولع بتقليد الغالب فأخذ الثقافة العربية من الثقافة الغربية -الآن- دون إعطاء وتصدير يعدّ طمساً وتغييراً للثقافة العربية لا مفاقة وتلاقحاً. الأمر الذي ندّد به أصحاب النقد المأثور فهم فهموا أنه "يصعب عزل الظاهرة الأدبية عن وعائها التاريخي فكلّ مصطلح نقدي تراث أدبي فلسفي خاص يعطيه معناه ويحدده، وعد الإمام بثقافة المصطلح أو بمراحل تطوره في ثقافته الأصلية بسبب إشكالات كثيرة في مجال المقابلات الصحيحة لهذا المصطلح في النقد الغربي"³³.

³³ حامد كساب عياط: "المصطلح النقدي العربي الحديث -المشكلات والحلول-" - مجلة النهض والنّاص - ع 04، 05- منشورات جامعة

جيجل -جيجل- أبريل جويلية 2005 ص 33.

كما أشير إلى أنّ هذا الاضطراب كان حاصل حتى في بلاد الغرب التي أنتجت المصطلح النقدي، لكن الاختلاف كان حاصلًا فيها كان اختلافًا شرعيًا مبررًا، كونه يستند في إنشاء المصطلح على وسائل شرعية لا على الاعتباطية والذاتية؛ أي اختلاف ثراء لا اختلاف تضارب.

ثانياً: المصطلح والترجمة

الترجمة نقل حرفي لنص ما من لغة/ثقافة ما إلى لغة/ثقافة أخرى قصد الاستفادة من النص. ولكن هل الترجمات الحالية تراعي الخصوصية الثقافية للثقافة المنتجة؟ وهل يستطيع المترجمون ردم تلك الهوية التي تتركها الخصوصية الثقافية بين المترجم والنص؟ هل يستطيع المترجم التنصّل من ذاتيته حال ترجمته لنص ما؟

إن للترجمة أهمية كبيرة في نقل العلوم بين الأمم والثقافات حيث تعتبر الجسر الذي تعبر من خلاله هذه العلوم. ولأهميتها احتاج لها الإنسان منذ القديم ليطلع على ما وصل إليه الإنسان الآخر. فهي تساهم في حوار الثقافات وتضييق الفجوة القائمة بينها.

وهي كما يعرفها "عياط": "فعل ثقافي متطور يعبر عن انجاز اجتماعي نشيط هادف وبناء، يرمي إلى توسيع دائرة الحوار والمعرفة في بيئته لشحذ فعاليته لاستيعابه لأكبر قدر من حصائد المعارف الإنسانية واكتساب خبرات الآخرين... وهي مفتاح الأمم لتلافي الانغلاق الفكري من جهة والتخلص من التبعية المطلقة المفضية إلى الذوبان في الآخر من جهة أخرى"³⁴.

ويشترط في الترجمة - ببداهة - أن تكون بين لغتين مختلفتين وللمترجم دور هام في نجاح هذه الترجمة أو فشلها، فنجاحها يعتمد على خبرة المترجم وسعة إطلاعه على اللغتين وتمكّنه من الإجراءات اللغوية.

وقد عرّف "محمد مدني" الترجمة تعريفاً جامعاً مانعاً إذ قال: "الترجمة نشاط ثقافي معرفي ظهر مع حاجة الإنسان إلى البحث عن وسيلة يحقق بها التفاهم بين اللغات الثقافية المختلفة"³⁵.

فقد حدّد صاحبنا وظيفة الترجمة -إجمالاً- في التفاهم بين اللغات الإنسانية المختلفة، في حين أن الباحث "سالم العيس" قد فصل في هذا تفصيلاً كثيراً، فقد حدّد وظائفها في³⁶:

- 1 - المطلب والحاجة (مطلب ديني - علمي - سياسي - عمراني - تجاري...).
- 2 - التواصل.
- 3 - خدمة المعرفة الإنسانية.
- 4 - المواكبة والتغطية العلمية والأدبية والقانونية. (إثراء المكتبة العربية ونشر مختلف الفنون).
- 5 - المتعة وصقل الذوق والخيال (ترجمة القصص البوليسية والغرامية).

³⁴ محمد زيمان: "الترجمة في الوطن العربي - إكراهات الواقع وتصورات المستقبل" - مجلة المجلس الأعلى للغة العربية - الجزائر - 2004 - ص 21.

³⁵ محمد مدني - النقد وترجمة النص المسرحي - دار الهدى - ص 19.

³⁶ سالم العيس - الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية - منشورات اتحاد الكتاب العرب " مرقون " - 1999 - ص ص 09 - 10 - 11.

6 - الثقافة (انفتاح الشعوب على بعضها).

وقد ذكر أحمد حساني في مقال له أن للترجمة إجراءات شائعين³⁷:

- 1 - الترجمة المباشرة: وهذا عندما يكون هناك تكافؤ بين اللغة المصدر واللغة الهدف أي أنها من نفس العائلة ولها عدّة أساليب:
 - أ - الاقتراض (التعريب): وذلك عندما يعسر إيجاد مقابل في اللغة المصدر.
 - ب - النسخ أو المحاكاة: النقل الحرفي للمتصور الذهني للمصطلح الأجنبي.
 - ج - التضخيم: استخدام مقابل في اللغة الهدف بوحدات لسانية أكثر من وحدات المصطلح الأجنبي.
 - 2 - الترجمة غير المباشرة: وهي عكس الأولى.
 - أ - التكافؤ: يحاول إيجاد بديل في اللغة الهدف مطابق للمصطلح في اللغة المصدر.
 - ب - المؤلفات: استعمال مقابل خاص من اللغة الهدف للتعبير عن معنى خاص في اللغة المصدر.
 - ج - التحرير: استخدام وإبداع مصطلحات غير مألوفة في العرف الاصطلاحي للغة الهدف.
- وتعترض الترجمة عدة مشاكل، فمنها المعرفية ومنها مشاكل خاصة بالمرجم وقد تصل إلى المشاكل الاجتماعية وخصوصية الثقافة المنتجة و الثقافة المستقبلية.

ذكر "محمد زرمان" بعضاً منها³⁸:

- 1 - غياب التخطيط والتنظيم (ويدخل في هذا حماس الناشر لنشر كتاب مترجم بدافع جني الأرباح الوفيرة).
 - 2 - قلة المترجمين المقتدرين (وسبب ذلك إسناد مناصب المسؤولية للمترجمين الحاذقين فتمتص هذه المناصب كل جهودهم وأوقاتهم ولا يجدون الوقت الكافي للتفرغ للترجمة، وكذلك ميل كثير من المترجمين إلى تعاطي الترجمة الفورية عن طريق العمل في المؤتمرات الدولية).
 - 3 - الاخوتال في الأعمال المترجمة: (أغلب الإنتاج المترجم تغلب عليه العلوم الاجتماعية والإنسانية في السياسة والأدب والتاريخ والنقد والدين وفي المرتبة التي بعدها كتب التسلية والكتب التعليمية التي تجلب الريح السريع، بينما الترجمة العلمية هزيلة جداً).
 - 4 - وقوع الترجمة تحت سلطة الآخر شكلاً ومضموناً (بدل أن يحدد العرب نوعية المعارف التي تضعهم في الطريق الصحيح المؤدي للتقدم باعتبار أنهم أمة ذات تراث حضاري راحوا يتتبعون ما يثير اهتمام الغربيين).
 - 5 - غياب القرار السياسي الذي يعطي الترجمة المكانة المركزية في المشروع الحضاري.
 - 6 - غياب الخطة الإستراتيجية حول وظيفة الترجمة.
 - 7 - ندرة المؤسسات المهتمة بعملية الترجمة.
- والملاحظ من خلال ما قدّم من مشاكل أنها مشاكل خارجية (سياقية) لم تتناول الترجمة من الداخل، فقط اهتمت بالمشاكل الاجتماعية والسياسية والإستراتيجية.

ويضيف الباحث أسباباً أخرى تدخل في هذا السياق كان قد ذكرها السعيد بوطاجين في كتابه " الترجمة والمصطلح " :

" - تباين مستويات التلقي والتأصيل , ونقص تفاوت المدارك من باحث إلى آخر ومن بلد إلى آخر بسبب اللغة والتكوين"³⁹.

" - عدم اتفاق المختصين حول السابقة الواحدة أو اللاحقة الواحدة لتباين الثقافة والمنطق واللغة أو لضغوط غير لسانية "⁴⁰.

³⁷ أحمد حساني: "إشكالية المصطلح في الترجمة اللسانية - مجلة المجلس الأعلى للغة العربية - الجزائر - 2004 - ص 308.

³⁸ محمد زرمان "الترجمة في الوطن العربي - إكراهات الواقع وتصورات المستقبل" - ص 34 - 47.

³⁹ السعيد بوطاجين - الترجمة والمصطلح - منشورات الاختلاف - الجزائر العاصمة - الجزائر - ط1 2009 ص 28.

⁴⁰ المرجع نفسه ص 28.

وقد ذكر حفناوي بعلي سببا آخر متمثلا في غياب المرجعية : " ونقصد بغياب المرجعية إقدام المترجم على ترجمة النص النقدي في غياب مرجعيته؛ أي عدم الإلمام بالسياق التاريخي وبالأسس النظرية للنص المترجم مع العلم أن كل ما يعبر عنه النقد من أفكار ونظريات واتجاهات هو حلقة من حلقات السياق الثقافي والاجتماعي للغة المصدر"⁴¹.

ويذكر أحمد حساني إشكالات أخرى تواجهها ترجمة المصطلح:

- 1 - "وقد يصبح اضطراب المصطلح عائقا معوقا لطرائق الترجمة بعامة والترجمة اللسانية بخاصة مما يعطل آليات الإبداع والمساهمة في إنتاج الخطاب العلمي.
- 2 - التصور الأحادي للغة العلمية الاصطلاحية يوشك أن يكون منعدما انعداما كليا وذلك عائد إلى غياب الوعي المنهجي في الفكر العربي المعاصر."⁴²
- 3 - الاعتماد المطلق على رصيد اللغة الأخرى في اصطناع المصطلح، دون التفكير في تهيئة أرضية تتضمن وجود ثقافة اصطلاحية لسانية عربية. وقد استفاد الباحث ميلود عبيد منقور إلى إشكالات معرفية وقعت فيها الترجمة، الأمر الذي أحدث خطأ كبيرا في مسار بعض الكتابات النقدية ومن بينها⁴³:
- 4 - استمداد الباحث العربي من النقد الغربي في المفاهيم النقدية دفعة واحدة دون أن يعرف ويفهم مراحل الحركة النقدية الأجنبية وحيثياتها تجاهلا نشأتها الطبيعية ومهتما بما يلائم الإبداع الأدبي.
- 5 - " بل إن كثير من المفاهيم النقدية التي أدخلت إلى الساحة العربية جاءت جاهزة قبل أن تنشأ الأعمال الأدبية التي تنطبق عليها".

وهذا خلط كبير وقعت فيه الكثير من الدراسات النقدية، وقد تطرق السعيد بوطاجين لمثل هذه الأسباب حينما تحدث عن الأخذ من اللغات الأخرى وما صاحبه من خلط⁴⁴ :

- محاولة التعامل الحرفي مع اللغات الأخرى دون الأخذ في الحسبان الشحنة الدلالية والمرجعية التي تميز هاته عن تلك .

- التسرع في وضع بعض المصطلحات ، ما يفسر التراجع عنها لعدم موافقتها دلالة المصطلح الأجنبي أو لعدم شموليتها أو لأسباب أخرى لعدم قابليتها للنحت أو الاشتقاق .

أما "بسام قطوس" يرى أن عدم استقرار المصطلح النقدي مشكلة، فهناك الكثير من المصطلحات المتعددة المعنى والمفهوم عند النقاد فضلا عن تأرجح المعنى للمصطلح النقدي عند الناقد الواحد⁴⁵.

و قد عزى صاحب المرايا المقرة المشكلة إلى الحداثة وما بعد الحداثة وما حام حولهما من مناهج نقدية مُرجعا المشكلة كلها إلى الصعوبة والغموض المتعمد في هذه المناهج⁴⁶:

⁴¹ حفناوي بعلي: "إشكالية ترجمة المصطلح النقدي -مصطلح الشعرية في الخطاب العربي-" - مجلة النص والناص - ع 4، 5- أفريل جويلية 2005 ص 56.

⁴² أحمد حساني: "إشكالية المصطلح في الترجمة اللسانية" - ص ص 2966 - 301

⁴³ ميلود عبيد منقور: "إشكالية المصطلح النقدي - مصطلحات السيميائية السردية نموذجا" - مجلة التراث العربي - اتحاد الكتاب العرب - دمشق - ع 104 - كانون الأول - 2006 - ص ص 1 - 3.

⁴⁴ السعيد بوطاجين - الترجمة والمصطلح ص 28.

⁴⁵ بسام قطوس - قضايا المصطلح: اللغة العربية في مواكبة العلوم الحديثة - ص 324.

⁴⁶ عبد العزيز حمودة المرايا المقرة - عالم المعرفة - مطابع الوطن - الكويت - أغسطس 2001 - ص 117.

- 1 - ترجمة النظريات النقدية خاصة الحدائية وما بعد الحدائية تمثل أعلى درجات التحدي لقدرات المترجم لغويا وذهنيا، فالمترجم يجد نفسه يتعامل مع مصطلحات لغوية مفردة أو مركبة لم يحدث الاتفاق على دلالاتها بين أبناء الثقافة الواحدة وأحيانا بين أبناء الثقافة التي أفرزتها.
- 2 - ارتباط المدارس النقدية الحدائية وما بعد الحدائية بالفلسفة الأوربية الحديثة خاصة الظاهرانية والهرمينوطيقية" هذا الذي يجعل إدراك المعنى صعبا حتى على قارئ من داخل الثقافة نفسها.
- 3 - العنصر الحدائي وما بعد الحدائي القائم على تعمد الغموض والإبهام لتأكيد إبداعية النص النقدي وأهميته. كما أخذ بوطاجين على المعاجم اللغوية نفسها وقوعها في خطأ كبير كمجمع دمشق الذي قفز على مجهودات القدامى من فلاسفة ومناطقة ودورهم في الترجمة والتأسيس لها " إذ اقترب الطرح المجعبي من الطرح العاطفي رغم ما يبدو عليه من جدية ليست مؤهلة بالضرورة لحل معظلة بهذا الحجم ... تعامل مع منشوره بطريقة مدعاة إلى المساءلة لعدة أسباب :

1. القفز على مجهودات القدامى

2- إغفال طروحات المناطقة ودورهم النير في الترجمة والتأسيس

3- عدم الإنتفاع من طروحات الفلاسفة التي تناولت بالدرس مسألة المصطلح وأفردت له بحوثا وترجمات. " 47.

ويخلص الباحث إلى أن اضطراب الترجمة في الوطن العربي عائدة إما إلى المترجم أو إلى المصطلح ذاته . أما قضية المترجم فمن مشاكلها قلة المترجمين الأكفاء وتفاوت مداركهم وثقافتهم واختلافهم فيما بينهم , والتسرع في ترجمة المصطلحات , وقلة الوعي بالمنهج الذي أنتج المصطلح . وأما قضية المصطلح فمن مشاكلها اضطراب المصطلح سواء المصطلح الأصل أو المصطلح المترجم .

⁴⁷ السعيد بوطاجين - الترجمة والمصطلح ص ص 34, 35 .

الفصل الثاني:

أصول المصطلح النقدي السيميائي عند مرتاض

المبحث الأول

أصول مصطلح السيميائية:

1- تعريف المصطلح:

1-1- لغة:

1-1- أ . عند العرب :

ورد في لسان العرب لابن منظور في مادة (وسم) الآتي:

"وسم: الوسم أثر الكيّ و الجمع وسوم . أنشد ثعلب:

ظلت تلوذ أمس بالصرهيم

وصلبان كسبال الروم

ترشح إلا موضع الوسوم

...وقد وسمه وسماً وسمه إذا أثر فيه بسمة و كي...و في الحديث: أنه كان يسم إبل الصدقة أي يعلم عليها بالكي، وأتسم الرجل إذا جعل لنفسه سمة يُعرف بها . وأصل الياء واو .والسمة و الوسام ما وُسم به البعير من ضروب الصور و الميسم: المكواة أو الشيء الذي يوسم به الدواب⁴⁸ .

و تتقاطع مادة (وسم) و(سوم) في الدلالة على العلامة في الشيء: "س-و-م: و السومة و السيمة و السيماء و السيمياء : العلامة، وسوم الفرس جعل عليه السمية , وقوله عزّ وجل: (حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين) . قال الزجاج :رُوي عن الحسن أنها معلّمة ببياض و حمرة و قال غيره مسومة بعلامة يعلم بها أنها ليست من حجارة الدنيا , يعلم بسيمائها أنه مما عذب الله بها .
الجوهري: مسومة أي عليها أمثال الخواتيم .

"...وقولهم عليه سيما حسنة معناه علامة و هي مأخوذة من وسمت أسم الأصل في سيما وسمى فحولت الواو من موضع الفاء فوضعت في موضع العين وجعلت الواو ياءً لسكونها و انكسار ما قبلها .
قال ابن العربي :السّم العلامات على صوف الغنم .

قال الراجز :

غلام رماه الله بالحسن يافعاً*** له سيما لا تشق على البصر⁴⁹ .

و كلا المادتين يستخرجُ منهما مصطلح "السيمائية" ، ولكن النقاد يعتمدون على المادة الثالثة (س،و،م)مثل عبد الملك مرتاض⁵⁰ .

ورد كذلك مصطلح السيمياء في القرآن الكريم بمعنى العلامة في قوله تعالى: (تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إحافاً) البقرة:273. وكذلك قوله تعالى: (و على الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم) الأعراف:46، وكذلك: (سيماهم في وجوههم من أثر السجود) الفتح:29 وجاء في قوله تعالى (

⁴⁸ ابن منظور، لسان العرب المحيط، دار لسان لعرب، بيروت، ج3، ص927.

⁴⁹ المرجع نفسه، ج2، ص245.

⁵⁰ عبد الملك مرتاض - نظرية النص الأدبي - دار هومة , الجزائر, 2007 ص147.

يعرف المجرمون بسيماهم (الرحمان 41. وجاء في تفسير السعدي لهذه الآية الأخيرة : " ... وقد جعل لأهل الخير والشر يوم القيامة ,علامات يعرفون بها "51 .

وكذلك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

" يخرج ناس من قبل المشرق ويقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه قيل ما سيماهم قال سيماهم التحليق أو قال التسبيد ".
من خلال هذا الحديث وهذه الآيات يتبين أن لفظ(السريياء) في الثقافة العربية معناه العلامة.

1.1- ب - عند الغرب :

ورد في معجم اللسانيات تعريف السمة أو الإشارة signe التي هي الأصل اللغوي للسيمولوجيا أو السيميوتيك ما يلي : " في المعنى الأعم يعين كل شيء مثل الرمز أو الإشارة , فالعنصر (أ) يعين بطبيعة متنوعة بديلا عن العنصر (ب) . مثل : اللون الأسود في السماء يدل على وجود السحاب "52 .
وقد تكرر هذا التعريف في المعاجم الأخرى فمثلا يُعرف : " في المعنى الأعم كل هدف , أو شكل أو ظاهرة التي تمثل شيئا آخر غير نفسه ... ونقبل عادة الشيء الذي يعطى لنا من بيرس : إيقونة , علامة , رمز "53 .

يلاحظ الباحث أن التعريفين يتفقان في أن مصطلح " signe " هو كون الشيء وُضع ليبدل على شيء آخر .

1.1- ج - استخلاص :

⁵¹ عبد الرحمان بن ناصر السعدي - تفسير السعدي - مكتبة الإيمان - الناصرة , مصر , د ت ص 902 .
⁵² Jean dubois et autres _ Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage _

21 rue du montparnasse 75283 _ paris cedex 06 P 430

Georges Mounin _ Dictionnaire de linguistique_ 4 edition_ 2004_6avenpe reille 75014 Paris _ presse ⁵³ universitaires de france . p 299.

من خلال ما تقدم من تعاريف لمصطلح "السمة" أو مصطلح "signe" تبين للباحث أن المصطلحين متطابقان إلى درجة كبيرة فكلاهما شيء وُضع بقصد أم بغير قصد ليبدل على شيء آخر .

1-2- اصطلاحاً:

1-2-أ- عند العرب:

عرف العلماء العرب التفكير السيميائي منذ القدم وقد اختلفوا في رده إلى أصله , ومن هؤلاء الذين تناولوا هذا المصطلح "ابن سينا" في مخطوطة تنسب له عنوانها "كتاب الدرّ النظيم في أحوال علوم التعليم" في فصل عنوانه "علم السيميا" إذ يقول: "علم السيميا. علم يقصد فيه كيفية تمزيج القوى التي في جواهر العالم الأرضي ليحدث عنها فعل غريب ، وهو أيضا أنواع فمنه ما هو مرتّب على صفة اليد وسرعة الحركة ، و الأول من هذه الأنواع هو السيميا بالحقيقة و الثاني من فروع الهندسة و سنذكره و الثالث هو الشعوذة...⁵⁴

و يتبين من خلال هذا النص أن علم السّيميا عند ابن سينا هو علم السّحر و التّنجيم.

أمّا ابن خلدون فيعطي هذا العلم بعداً آخر فهو يدخله في الطلسمات التي هي من خاصية أهل التصوّف و قد رادفه بعلم أسرار الحروف قائلاً: " و هو المسمّى لهذا العهد بالسّيميا ، نُقل وضعه من الطلسمات إليه في اصطلاح أهل التصوف من المتصوّفة، فاستعمل استعمال الخاص"⁵⁵.

فلبن خلدون ربط هذا العلم بالمتصوفة و بظهور الخوارق على أيديهم و في خضم حديثه ذكر مصطلح "السيميا" بالهمزة.

⁵⁴ عز الدين المناصرة . مقدمة كتاب : السيميائية أصولها و قواعدها. ميشال آريفية وآخرون ،، تر: رشيد بن مالك منشورات الاختلاف الجزائر 2002،ص23.

⁵⁵ عبد الرحمان بن خلدون،المقدمة (ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر) مراجعة: سهيل زكار، ج1،دار الفكر ،بيروت 2001 ،ص664.

و قد وصف رشيد بن مالك سيميا ابن خلدون بأنها لا تغطي ما يحمله التصور المعاصر إلا أنه احتفظ به لكونه يعادل أغلب الصور الصوفية في الكلمة بالإنجليزية مع اختلاف طفيف في اللاحقة.

أما الجاحظ كان سابقا لعصره ، تكلم عن الدلائل وأضرِبها ، و الدلالة - كما يُعلم - هي من أساسيات علم السيميائية، و قد قسّمها إلى خمسة : " أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال و تسمى نُصبة...ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبها و حلية مخالفة لح لية أختها،وهي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة ثم عن حقائقها في الت فسير وعن أجناسها و أقدارها و عن خاصّها و عامّها".⁵⁶

أما الغزالي فقد كان له فضل سبق في تقنين العلامة و التفصيل فيها وقد أعطاها أربعة مراتب، فهو الذي قال : " إنّ للشيء وجوداً في الأعيان ثم في الأذهان ثم في الألفاظ ثم في الكتابة .فالكتابة دالة على اللفظ ، واللفظ دال على المعنى الذي في النفس ، و الذي في النفس هو مثال الوجود في الأعيان"⁵⁷.

فالعلامة في نظر الغزالي تتألف من مراتب أربعة أساسية هي :

الموجودة في الأعيان،الموجودة في الأذهان،الموجودة في الألفاظ،الموجودة في الكتابة و يبدو أن الغزالي قد أدرك أهمية اللغة في إبداع النظام التواصلّي، إذ أن الإنسان يكيّف تعامله مع الواقع الخارجي من خلال كفاءته العقلية التي تسمح له بابتكار النمط الترمي زي الدال وفق التصور الحسي و ما يوفره المحيط الاجتماعي من إشارات و رموز ترتبط بعالم الأشياء المحسوسة.و وحتى أن القرطاجني طرح نفس هذا الطرح في كتابه "منهاج البلغاء" حين قال : "إن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان . فكل شيء له وجود خارج الذهن تطابق لما أدرك منه ، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم ، فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ ، فإذا احتيج إلى وضع رسوم من الخط تدل على الألفاظ

⁵⁶ الجاحظ . البيان والتبيين . تح : حسن السندوبي . القاهرة 1947 . ج1 ص 91.

⁵⁷ أبو حامد الغزالي ، معيار العلم ، تح:سليمان دنيا ، دار المعارف القاهرة ط2 (د.ت) ص ص 35،36.

من لم يتهياً له سمعها من المتلفظ بها صارت المعاني فيكون لها أيضا وجود من جهة دلالة الخط على الألفاظ الدالة عليها " .⁵⁸

فالقرطاجني بهذا القول قد ربط العلاقة التواصلية بين المتكلم والمستمع بواسطة اللفظ وجعله محور العلاقة التواصلية كونه يترجم الصورة الذهنية لتوصيلها للمستمع .

و تحدث أبو هلال العسكري عن قصدية العلامة و اعتباريته ا فهو لا يميل إلى رأي واحد بل يرى أن كلاً من قصدية العلامة و اعتباريتها جائز، و فصل في ذلك قائلاً إن العلامة "يمكن أن يستدل بها أقصدَ فاعلها ذلك أم لم يقصد و الشاهد أن أفعال البهائم تدل على حدثها و ليس لها قصد إلى ذلك و آثار اللص تدل عليه و هو لم يقصد ذلك وما هو معروف في عرف اللغويين يقولون: استدللنا عليه بأثره وليس هو فاعل لأثره من قصد" ⁵⁹

و لا يخفى عن القارئ أن هذ هالقضية التي أثارها العسكري هي محلّ جدال في الفكر السيميائي المعاصر وانقسم لهذا اتجاهاً هناك من يقول بأن للعلامة (دال و مدلول و قصد) (الاتجاه التواصلية وعلى رأسهم سوسير) وآخرون (الاتجاه الدلالي وعلى رأسهم بارت) يقولون للعلامة (دال و مدلول وجانب تأويلي) .

تأسيساً على ما تقدّم من آراء و أقوال يستطيع الباحث أن يقول: إن هناك إرهاصات عند العرب لم تكتمل لتشكّل علم قائم بذاته , لكن هذه الجهود النقدية ساهمت في وضع أساسيات الفكر السيميائي وسيرورة عجلته .

1- 2- ب_ عند الغرب:

⁵⁸ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء و سراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986، ص ص

18, 19.

⁵⁹ أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، درا الآفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1964، ص 16.

يعود التفكير السيميائي إلى ألفي عام تقريباً إلى أيام الروائيين الذين تنبهوا إلى الاختلاف بين أصوات اللغة ، وقد قال عنهم إمبرتو إيكو : " فهم يميزون بوضوح بين العبارة والمضمون والمرجع ويبدو أنهم نقلوا الثلاثية التي أوحى بها أفلاطون وأرسطو ولكنهم درسوها بدقة قلما وجدت لدى تلاميذهم المعاصرين " .⁶⁰

و انتقل التفكير السيميائي في القرن الرابع والخامس خطوة أخرى مع القديس أغسطينس بسؤاله عن التأويل و التفسير إذ " وُحِدَ أغسطينس في كتابه De Mogistro بين نظرية العلامات ونظرية اللغة , وتعرف على جنس العلامات , التي تمثل العلامات اللغوية من بينها صنفا , مثل الالفاظات والحركات والعلامات الإشارية , وذلك قبل سوسير بستة عشر قرناً".⁶¹

و في القرن 17 يمكننا القول أن مرحلة(جون لوك) تعدّ المرحلة الحقيقية في تمييز السيمياء عن غيرها من العلوم . فقد صنفها إلى ثلاث علوم :1- علم الأخلاق 2- علم الطبيعة(الفيزياء) 3- علم السيمياء.⁶²

أما عن مصطلح السيميائية فإن "بيير جيرو" يعود به إلى اليونان Semeions و الذي يعني الإشارة⁶³.

وإن هناك اختلاف في تحديد المصطلح الأنسب لهذا العلم فهناك مصطلح (Sémiotique) و مصطلح(Sémiologie) أما الأول فمصدره الثقافة الأمريكية (بورس) و الثاني مصدره الثقافة الأوربية (دي سوسير)، و ارتبط مصطلح Sémiotique بالمنطق و الفلسفة لدى "بورس" و هو الأسبق في الظهور, إذ يقول مرتاض في هذا الشأن : " يبدو أن مصطلح "السيموتيك" أقدم وجودا , وأعرق ميلادا (1555) في الثقافة الأوربية من مصطلح السيميائية (أو "السيمولوجيا" حتى نزيل اللبس) الذي لم يتداوله دو سوسير إلا زهاء سنة 1910 ."⁶⁴ أما (Sémiologie) فقد ارتبط باللسانيات فهذا دي سوسير في محاضراته يبشّر بهذا العلم قائلاً:"يمكننا أن نتصور علماً موضوعه دراسة حياة الإشارات في المجتمع، مثل هذا العلم يكون جزءاً من علم النفس الاجتماعي و هو بدوره جزء من علم النفس العام و سأطلق عليه

⁶⁰ إمبرتو إيكو - السيميائية وفلسفة اللغة - تر : أحمد الصمعي , المنظمة العربية للترجمة , بيروت لبنان , ط1 2005 ص76.

⁶¹ المرجع السابق ص: 84.

⁶² حنون مبارك،"في السيميائيات العربية"،مجلة الدراسات الأدبية و اللسانية ،فاس،ع5، 1986 ،ص 94

⁶³ بيير جيرو،علم الإشارة (السيمولوجيا) ،تر:منذر عياشي، دار طلاس للدراسات و الترجمة دمشق ،ط11 ، 1988 ، ص 09

⁶⁴ عبد الملك مرتاض - نظرية النص الأدبي - ص: 165.

علم الإشارات السيميولوجيا. و يوضح علم الإشارات ماهية مقومات الإشارات و ماهية القواعد التي تتحكم فيها، ولما كان هذا العلم لم يظهر للوجود... لكن له حق الظهور فعلم اللغة هو علم الإشارات العام".⁶⁵

إذن يربط سوسير هذا العلم بالمجتمع و لا يفصل عن علم النفس الاجتماعي محددًا موضوعه في الاشتغال على الإشارات و قواعدها وقد أدرج علم اللغة العام داخل هذا العلم (السيميولوجيا) الأمر الذي لم يُرضِ رولان بارت" و اضطره إلى قلب المسألة على رأسها فقال إن السيميولوجيا جزء من اللسانيات ، لأن كل مجموعة سيميولوجية (شفرة الطريق ، سيمافور ..) مهمة " تطلب العبور عبر اللغة - كل نظام سيميولوجي يمتزج بلغة - وهكذا السيميولوجيا ستصبح فرعاً من اللسانيات.⁶⁶

و قد تبنى "بيير جيرو" طرح دي سوسير عند تعريفه لهذا العلم قائلاً: "هي العلم الذي يدرس بنية الإشارات و علائقها في هذا الكون و يدرس بالتالي توزيعها وظائفها الداخلية و الخارجية"⁶⁷.

و حديثاً أصبحت المعاجم الغربية لا تفرق بين المصطلحين فنستعملها مع بعض بعطف إحداها على الأخرى، فهذا "تودوروف" حال تعريفه لهذا العلم يقول: " السيميائية (أو السيميولوجيا) هي علم العلامات"⁶⁸.

وكذلك معجم لاروس حين تعرض لتعريف السيميولوجيا (Semiologie) أدرج تحتها مصطلح (Sémiotique) ولم يفرق بينهما إذ عرف السيميولوجيا قائلاً: " علم عام للإشارات والقوانين التي تسيورها في الحياة الاجتماعية التي تسيورها موسوعياً ، هي أبحاث السيميولوجيا التي تصورها دي سوسير في مشروعه والتي تقاطعت مع أبحاث بيرس (سيميوتيك) وبصورة عامة مصطلح سيميوتيك هو المستعمل في أيامنا هذه " .⁶⁹

⁶⁵ فيردنان دي سوسير، علم اللغة العام، تر: ديويثيل يوسف عزيز، بيت الموصل، الموصل، ط3، 1988، ص24.

⁶⁶ _ Jean dubois et autres _ Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage

p426

⁶⁷ بيير جيرو ، علم الإشارة (السيميولوجيا) ، تر: منذر عياشي ، ص 09 .

⁶⁸ T.Todorov .O.Ducrot: Dictionnaire Encyclopedique des sciences du langage Edition du seuil .Paris

. 1972.p113. نقلاً عن: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح ، ص 227.

⁶⁹ Le petit Larousse : Paris cedex 06_ 1999 _ 21 Rue du Montparnasse 75283_ p 931

و لم تفت هذه الملاحظة "دنيال تشاندلر" في معجمه السيميائي الذي قال بأن "مصطلح Semiotics في الوقت الراهن، على نحو كبير كمصطلح شامل، يضم تحته كلاً من السيميولوجيا و كذلك ما أسماه بيرس السيميوطيقا"⁷⁰.

و أكثر السيميائيون بعد هذا في طرح تعاريف للسيميائية، لكنهم لم يأتوا بالجديد فكلهم يقتبسون من سوسير، فهذا لويس برييطو - مثلاً - يقول عنها: "هي العلم الذي يبحث في أنظمة العلامات أيّ كان مصدرها لغوياً أم سننياً أم مؤشرياً"⁷¹.

2 _ مصادر مصطلح السيميائية عند مرتاض:

قبل أن يتطرق مرتاض إلى مصطلح "سيميائية" بحث في أصله اللغوي عند العرب، فذهب إلى مصطلح "السمة" و بنى عليه مصطلح "سيميائية" فيما بعد، و صحّ الفرق بين السمة و التسويم حيث قال: "إن أصل السمة في اللغة العربية آت من الوسم (و س م) وليس من التسويم (و س م)... وهو إحداث تأشير أو عَلمٍ بكَيٍّ أو وشمٍ أو قطعٍ أو نحوه"⁷².

وقد دعم ما ذهب إليه برأي الجاحظ حينما قال: "كما يذهب إلى ذلك أبو عثمان الجاحظ منذ زهاء اثني عشر قرناً، تكون (باليد و بالرأس و بالعين و الحاجب و المنكب - إذا تباعد شخصان - وبالثوب و بالسيف)"⁷³.

و هذا دليل على أن مرتاضاً متأصلاً في التراث العربي لا يجب أن يأخذ من النقد الغربي إلا إذا عاد إلى تراثه العربي و استخلص منه المفهوم الأول لهذا المصطلح .

⁷⁰ دانيال تشاندلر، معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات، تر: شاكر عبد الحميد، أكاديمية الفنون، مطابع المجلس الأعلى للآثار، 2002، ص 192.

⁷¹ J. Dubios et autres: dictionnaire de linguistique librairie Larousse. Paris 1973. p434. نقل عن: فريد أمعشوش

المنهج السيميائي" موقع: ملتقى ابن خلدون للعلوم و الفلسفة و الأدب، تاريخ التنزيل: 2010/07/08.

⁷² عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، ص 147

⁷³ المرجع نفسه، ص ن.

و قد أخذ من الجاحظ أكثر من هذا و في أكثر من موضع فهو الذي قال : " فلقد وجدنا الجاحظ يربط الدلالة باللغة السيميائية كما يربط السمة باللغة على نحو ما في حديثه عن نظرية البيان⁷⁴ .

بل تطرق العرب - حسب مرتاض - إلى الممارسة العملية للسمة حيث يسمون الإبل بميسم خاص لكي تُعرف عندما تُسرق أو تهرب⁷⁵ .

و قد شكر مرتاض سعي الجاحظ ، الذي سبق زمانه فتحدث عن أنواع التبليغ السيميائي في كتابه الحيوان حينما قال : " الله جعل اللفظ للسامع و جعل الإشارة للناظر و أشرك الناظر واللامس في معرفة العَقْد إلا بما فضل الله به نصيب الناظر في ذلك على قدر اللامس و جعل الخطّ دليلاً على ما غاب من حوائج عنه ، وسبب موصولاً بينه و بين أعوانه (...) و لم يجعل للشام و الذائق نصيباً⁷⁶ .

و قد أعطى مرتاض هذا الكلام الصيغة العلمية المعاصرة ، فقال بأن الجاحظ يتحدث في هذا النص عن "أنواع التبليغ السيميائي فيجعل السمة اللفظية سمة - المنطوقة - أداة الاتصال بالسامع (المتلقي أو المستقبل فهي سمة مرموقة ، في حين جعل سمة الإشارة للناظر وحده ، وهو ما نطلق عليه نحن السمة البصرية"⁷⁷ ، و أخذ من الجاحظ/التراث العربي لم ينسهِ النقد الغربي و إجراءاته و خصوصيته. فهو يوازن بين الفكر العربي و الفكر الغربي و يحاول أن يخرج بفكرة تكون وسطاً بينهما و مقبولة من الطرفين في آن معاً .

و يظهر ذلك في اختياره لمصطلح (سمة) أن يكون مقابلاً للمصطلح الأجنبي Sign / sign

و ذلك لعدة أسباب من بينها:

أ- "أن العلامة استعملت في الفكر النحوي العربي بمعنى لاحقة تلتحق فعلاً من الأفعال أو اسما من الأسماء - دون الحروف - فيستحيل من حال إلى حال للنهوض بوظيفة دلالية يقتضيها المقام، و لعل

⁷⁴ المرجع نفسه، ص 166.

⁷⁵ المرجع نفسه، ص ن.

⁷⁶ الجاحظ، الحيوان ، ج 1 ، ص 45 ، 46.

⁷⁷ عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، ص 167.

اصطناع ذلك المصطلح النحوي في أصله في المفاهيم السيميائي على عهدنا هذا قد يزيد هذا الأمر اضطراباً و التباساً⁷⁸.

من خلال هذا النص نجد أن مرتاضاً مشبع بالتراث العربي عالم بخفاياه مراعي لهوائيه ، يتعامل معه بوعي معرفي .

واقترح أن يكون مصطلح (signe) مقابلاً لمصطلح السمة بدل (La marque) مع

اقراره أن بيرس استعملهما في موقف واحد.⁷⁹

و قد توغل مرتاض أكثر في الفكر الغربي حيث أخذ عن طودوروف مفهوم السمة ،
و كذلك عن قريماس الذي عرفها في معجمه قائلاً: " شيء جيء به ليمثل شيئاً آخر"⁸⁰.

بعد هذا يؤصل مرتاض للمصطلحين الغربيين (sémiotique – semiotics) (– semiology)
فقال عنهما "هما آتيان من الأصل الإغريقي المركب (semiotike) و هو من بلورة شارل
بيرس (1839– 1914) فهو الذي كان يعدّها بمثابة العلم الكلي للسّمات الذي يشمل كل السّمات "⁸¹.
و لم يحد مرتاض عن بقية النقاد العرب في هذا فالكل يعلم أن بيرس و هو أول من تكلم في السيميائية
و لكن لم تتخذ هذه السيميائية شكل المشروع العلمي إلا مع بيرس و سوسير معاً و هذا الذي يقرّه
مرتاض⁸².

و أقرّ كذلك أن السيميائيات ترتبط أساساً بالثقافة الأنجلوأمريكية (لوك،بيرس خصوصاً) و أن مفهوم
السيميائية(السميولوجيا) مرتبط بالثقافة الفرنسية (قريماس ،بارت،كريستيفا)، و يبدو له أن
مصطلح"السيميوتيك" أقدم وجوداً في الثقافة الأوربية من مصطلح السميولوجيا⁸³.

⁷⁸ المرجع نفسه، ص 148 .

⁷⁹ المرجع نفسه ، ص149.

⁸⁰ 1972 / Courtes et Grimas sémiotique. Dictionnaire raisonne de la theorie du langage . seriel . paris.

semiosisنقلًا عن المرجع السابق ،ص153.

⁸¹ المرجع نفسه ،ص158.

⁸² المرجع نفسه ، 159.

و يفرق مرتاض بين مصطلحين "Sémiologie" و "Sémiotiques" و يعترف قبل أن يفرق أن الفضل في ذلك عائد إلى يلمسليف، حيث ينصرف مصطلح (السيمائية - Sémiologie) إلى النظرية، و ينصرف مصطلح (السيمائيات - Sémiotiques) إلى التطبيقات أو القراءة السيميائية "وهي سيرة يمكن إتباعها للتمييز بين المصطلحين الاثنين المتداخلين في رأي. المترادفين في رأي آخر" ⁸⁴.

من خلال هذا نرى أن مرتاض لم يتحرج في الأخذ من النقد الغربي. و قد كرر هذا الصنيع في موضع آخر من مؤلفاته، حينما أعجبه تفريق يلمسليف بين: Sémiotiques / Sémiologie

وقال: " وقد يكون هذا هو المخرج العلمي الرصين الذي يمكن أن يسهم في حل هذه الإشكالية المفهومية ⁸⁵، بل لا يتحرج كذلك من أخذ تعريف السيميائية من قريماس حينما عرفها بأنها " شبكة من العلاقات المنتظمة بتسلسل ⁸⁶، فهو يعتمد كثيراً على قريماس و خاصة في تحديد حقيقة و كنه السيميائية في بعض مؤلفاته ⁸⁷.

من ما عُرض من أقوال وآراء نخلص إلى أن مرتاضا يعتمد على اللغة العربية كثيراً في إرجاعه المصطلحات لأصولها ، فقد صحّ الأصل اللغوي لمصطلح السيميائية فهو آت من الوسم وليس من التسويم (س و م) وذهب إلى أن هناك أصولاً وإرهاصات لهذا المصطلح عند العرب القدامى وخاصة عند الجاحظ .

وكذلك رفض أن يكون مصطلح: " la marque " مقابلاً لمصطلح " سمة " واختار بدله "Le signe".

أما عن هذا المصطلح عند الغرب فقد قال بأنه آت من الأصل الإغريقي Semiotike

⁸³ المرجع نفسه ،ص165.

⁸⁴ عبد الملك مرتاض، نظرية القراءة - تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية- دار الغرب للنشر والتوزيع -وهران، 2003، صص 32، 33.

⁸⁵ عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، ص 162.

⁸⁶ عبد الملك مرتاض، أي،دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي،ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، ص21.

⁸⁷ عبد الملك مرتاض ،تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية مركبة لرواية زقاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر 1995.

صص 07، 08.

وتطرق إلى اختلاف الغربيين في اختيار المصطلح الأنسب هل هو السيموتيك أم السيميولوجيا وأعجبه رأي يلمسليف المذكور آنفا .

و يرى الباحث أن مرتاضاً لا يتعسف و لا ينظر إلى جهة دون أخرى بل يحاول اقتفاء أثر الحقيقة العلمية (في التراث العربي أو عن الغرب) ولا يهمه أن يتبنى رأياً غريباً كان أم شرقياً و لا يضيره أن يتراجع عن رأي رأى خطأه و بطلانه بعد إطلاع و مدارس.

المبحث الثاني

أصول مصطلح الشعرية/ الأدبية

1- تعريف المصطلح:

1.1 - لغة:

1.1 - أ - عند العرب:

ورد في لسان العرب لابن منظور في مادة(شعر) الأتي:

" شعر:شعر به وشعر يشعر شعراً وشعرًا وشعره ومشعوره وشعورًا وشعورة وشعري ومشعوراء .

والشعر منظوم القول غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية¹ .

1-1 - ب - عند الغرب :

ورد في قاموس لاروس الفرنسي تعريف مصطلح " poésie " : " هو فن جمع الأصوات وإيقاعات الكلمات في لغة من أجل استحضار صور وإيحاء بأحاسيس وعواطف " 2 .
فالشعر حسب هذا التعريف مجموعة إيقاعات " أوزان " مكللة بالأحاسيس والصور الشعرية .

1-1 - ج - استخلاص :

نخلص مما تقدم بأن الشعر سواء عند العرب أو عند الغرب يجب أن يتوفر فيه الوزن , والعرب - حسبما تقدم - يزيدون فيه شرطاً وهو القافية. أما الأحاسيس والصور فمتروك أمرها لبراعة الشاعر .

1 - 2 - اصطلاحاً:

1-2 - أ. عند العرب:

استعمل العرب القدماء مفهوم الشعرية تحت مصطلحات أخرى مثل (الديباجة) (الماء الشعري) (نظرية النظم) (القول الشعري) وغيرها من المصطلحات.

فقد استعمل ابن طباطبا مصطلح " حسن الديباجة " أثناء حديثه عن الأشعار الجيدة إذ قال: " ونذكر الآن أمثلة للأشعار المحكمة الوصف , المستوفاة المعاني , السلسلة الألفاظ , الحسنه الديباجة " 1.

¹ ابن منظور، لسان العرب، مج، 02، ص 323.

² Le petit Larousse : p 796.

فهذا الفارابي (260هـ) يقول: "القول إذا كان مؤلفا مما يحاكي الشيء ولم يكن موازنا بإيقاع فليس يعد شعرا ولكن يقال هو قول شعري".⁹⁰

وهذه تعد إطلالة مبكرة على مفهوم الشعرية الذي يتناول الشعر و النثر معا , فقد فطن إلى أن في النثر كذلك شعرية وإن لم يحتو على وزن وإيقاع, ورفض أن يسميه شعرا لأن الشعر عند النقاد القدامى مرهون بالوزن والقافية , فلجأ إلى تسمية كانت وسطا بين الشعر والنثر وهي " قول شعري " وهو كلام يسمو عن النثر العادي فيه روح الشعر .

بل إن الفارابي في موضع آخر من كتابه كتاب الحروف يصف لنا بمهارة إستراتيجية تكوّن الشعرية في نص ما ويعطي أسباب انبثاقها منه فهو القائل: " والتوسع في العبارة بتكثير الألفاظ بعضها ببعض وترتيبها وتحسينها فيبتدئ حين ذلك أن تحدث الخطبية أولا ثم الشعرية قليلا قليلا "3 .

نلاحظ من خلال هذه المقولة أن الفارابي قد استعمل مصطلح الشعرية ذاته وهو في رأيه تحدث بحسن ترتيب الألفاظ وتكثيرها فتبدأ الشعرية في التكوّن والحدوث , فالشعرية حسب الفارابي شيء قصدي يُصنع بحذق الشاعر وليست سلبية العفوية .

وليس هذا بالغريب لأن الباحث قد وجد نقادا عربا آخرين قد استعملوا هذا المصطلح في تأليفاتهم المختلفة ولنذكر منهم:

-يقول ابن سينا (428هـ): " إن السبب المولد للشعر في قوة الإنسان شيئا : أحدهما الالتذاذ بالمحاكاة (...) والسبب الثاني في حب الناس للتأليف المتفق والألحان طبعاً ثم قد وجدت الأوزان

¹ محمد أحمد بن طباطبا العلوي . عيار الشعر . تح : عباس عبد الساتر , دار الكتب العلمية , بيروت لبنان ط1 1982 ص: 37.

⁹⁰ أبو نصر الفارابي، جوامع الشعر (ملحق بكتاب تلخيص الشعر لابن رشد)، تحقيق : محمد سليم سالم ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة، 1971 ص 172.

³ أبو نصر الفارابي، كتاب الحروف تحقيق، محسن مهدي، دار المشرق ، بيروت، ط 2، 1990 ص 141.

مناسبة للإلحان فمالت إليها الأنفس وأوجدتها فمن هاتين العلتين تولدت الشعرية¹ ، فالشعرية عنده تولدها رغبتان : لذة المحاكاة ؛ وهي أن ينتج الشاعر نسا شعريا يماثل به النصوص الشعرية المخزنة في ذهنه لا أن يطابقها . وحب الإلحان والتناغم الموسيقي، ونلاحظ أن ابن سينا حصر الشعرية في الشعر فقط دون النثر.

- يقول حازم القرطاجني: " وكذلك ظن هذا إن الشعرية في الشعر إنما هي نظم أي لفظ اتفق كيف اتفق نظمه وتضمينه أي غرض اتفق على أي صفة اتفق . لا يعتبر عنده في ذلك قانون ولا رسم موضوع "2.

وهذا القول جاء كرد على من قال أن الشعرية تأتي هكذا عبثا دون اختيار للألفاظ ودقة في تركيبها مع بعض ودون اختيار كذلك للموضوع المراد التحدث والنظم فيه.

ومن خلال هذه الأقوال الثلاثة يرى الباحث أن القرطاجني أقرب ما يكون بتعريفه للشعرية من مصطلح الشعرية المعاصر والذي يتلخص في " الخصائص المجردة التي تصنع فزادة الحدث الأدبي أي الأدبية⁹³ وعند مقارنة هذا التعريف برأي حازم القائل بأن انتقاء الألفاظ وحسن نظمها مع بعض في موضوعها المناسب يولد الشعرية. نجد تقاربا شديدا بينهما.

1-2-ب عند الغرب:

يعود مصطلح " الشعرية " عند الغرب إلى الفيلسوف اليوناني " أرسطو " الذي استعمله في كتابه " فن الشعر⁹⁴ بشكل مقتضب بعيدا عن التعقيدات النظرية الرزينة المعمقة.

أما في العصر الحديث فقد انطلق مع " جاكوبسن " تحت مصطلح (الأدبية) الذي حدد بوضوح مفهومها ووظيفتها. وهذا كرد فعل على المناهج السياقية (الاجتماعية الماركسية...) التي أبعدت الأدبية عن الدراسة النقدية واهتمت بما حول النص لا بالنص.

¹ ابن سينا، فن الشعر، من كتاب الشفاء، ترجمة وتحقيق، عبد الرحمان بدوي، بيروت، ص 172

² حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح محمد الحبيب بن خوجة، ص 28

⁹³ تزفيتان تودوروف - الشعرية - تر : شكري المبخوت و رجاء بن سلامة - دار توبقال للنشر - الدار البيضاء المغرب ط1 - 1987ص: 23.

⁹⁴ حسن ناظم، مفاهيم شعرية (دراسة مقارنة في الأصول والمنهج و المفاهيم)، المركز الثقافي، بيروت، ط1 1994، ص 11

والوظيفة الشعرية عند ياكوبسن " هي وظيفة لغوية بواسطتها يمكن أن تصبح الرسالة نوعا من الفن "95 أي الوسائل والطرق اللغوية التي ترتقي بالرسالة من مجرد كلام عادي إلى كلام فني راق , تتوفر فيه لذة إمتاع القارئ . وقد عرف جاكوبسن الأدبية قائلا: " هي ما يجعل من أثر ما أثرا أدبيا " .96

ويشير الغدامي إلى أن مصطلح الأدبية لم يتخذ شكلا واحدا فقط بل استخدم تحته عدة مصطلحات مثل: التعبيرية والأسلوبية..97

أما عن موضوع الأدبية حسب " تودوروف " ليس هو العمل الأدبي في حد ذاته بل " خصائص هذا الخطاب النوعي الذي هو الخطاب الأدبي وكل عمل عندئذ لا يعتبر إلا تجليا بنسبة محددة وعامة وانجازا من انجازاتها الممكنة ولكل ذلك فإن هذا العلم لا يعني بالأدب الحقيقي بل بالأدب الممكن وبعبارة أخرى يعني بتلك الخصائص التي تصنع فرادة الحدث الأدبي أي الأدبية " .98

2. أصول مصطلح الشعرية/الأدبية عند مرتاض :

أخذ هذا المصطلح مكانه بين الدراسات النقدية الغربية والعربية , القديمة و المعاصرة , وتداول وانفرد - في العصر الحديث - بمصنفات مستقلة لوحده 99 , تتناقشه في أصوله وإجراءاته وامتداداته و علاقته بالعلوم الأخرى .

95 Jean dubois et autres_ Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage p 368

96 تزفيتان تودوروف، الشعرية، تر: شكري المبخوت، رجاء سلامة، دار توبقال، المغرب، ط2، 1990، ص 36

97 عبد الله محمد الغدامي، الخطيئة والتكفير (من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية للنموذج معاصر)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط4، 1998، ص 07.

98 تزفيتان تودوروف، الشعرية، ص 23

99 من المؤلفات التي ألفت فيه:

- مفاهيم الشعرية - حسن ناظر
- عثمان الميلود - الشعرية العربية
- علي ملاحى - شعرية القص
- صلاح فضل - أساليب الشعرية المعاصرة
- عبد الله إبراهيم - فضاءات الشعرية
- رشيد بن مالك - شعرية الفضاء السردي

واختلف النقاد العرب في ماهيته وتسميته , فسماه عبد الله الغدامي " نظرية البيان" ¹⁰⁰ وسماه

سعيد علوش "الشاعرية" في كتابه " معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة " حيث قال : " والشاعرية درس يتكفل باكتشاف الملكة الفردية التي تصنع فردية الحدث الأدبي, أي الأدبية عند ميشونيك" ¹⁰¹ وسماه مجدي وهبة "فن الشعر" ¹⁰² , وسمي : " القول الشعري" ¹⁰³ .. وكثرت حول هذا المصطلح الأسماء .

وقد عرفه رشيد بن مالك في قاموسه السيميائي قائلا بأن الشعرية " لا تسعى إلى تسمية المعنى بل إلى معرفة القوانين العامة التي تنظم ولادة كل عمل (...). تبحث عن هذه القوانين داخل الأدب ذاته" ¹⁰⁴ وبهذا النص القصير أعطى حدود هذا المصطلح / العلم و إجراءاته.

أما مرتاض فإنه يعود بنا إلي جذور هذا المصطلح يستتطق التراث ويدقق في نصوصه عله يجد ضالته فيه ، فوجد بعد ذلك أن كثيرا من النقاد و العرب القدامى قد تناولوا هذا المصطلح و ذلك في قوله: " وقد استعمل هذا المصطلح كثير من النقاد العرب منهم : الجاحظ و ابن قتيبة والحصري (زهر الآداب) وابن رشيق (العمدة)...¹⁰⁵ .

وقد أشار مرتاض في موضع آخر إلى أن ابن طباطبا اقترب من هذا النظرية كثيرا- يقصد الأدبية- في استعماله لمصطلح "حسن الديباجة" في حين أن الحسن بن بشر الأمدي يطلق عليها " الديباجة " ¹⁰⁶.

وقد أثبت مرتاض في موضع آخر أن العرب كانت تطلق على هذا المفهوم مصطلح "الماء" و يقصد الماء الشعري قائلا: "النشأن في إقتراء الخطاب الأدبي هو غير ذلك سبيلا فهو يمتد إلي نحو العمق كما يمتد نحو السطح أي انه يضرب جذور شبكيات الكلام داخل النص الأدبي ، فيعبر فيها إلى أبعد الأعماق

¹⁰⁰ عبد الهس الغدامي الخطيئة و التكفير - ط1- النادي الأدبي الثقافي ج1985ص05.

¹⁰¹ سعيد علوش -معجم مصطلحات الأدبية المعاصرة- منشورات المكتبة الجامعية .الدار البيضاء 1984.ص74

¹⁰² مجدي وهبة - معجم مصطلحات الأدب مكتبة لبنان- بيروت 1974.ص416

¹⁰³ محي الدين صبحي - نظرية النقد العربي وتطورها إلي عصرنا- الدار العربية للكتاب -تونس/ليبيا 1984.ص194

¹⁰⁴ رشيد بن مالك - قاموس مصطلحات التحليل السيميائي - دار الحكمة - 2000 م - ص 140.

¹⁰⁵ - عبد الملك مرتاض - نظرية النص الأدبي ص 57.

¹⁰⁶ - عبد الملك مرتاض - أ.ي دراسة سيميائية تفكيكية - ص 17.

الممكنة وهو يلتبس أثناء ذلك ما كان العرب يطلقون عليه "الماء" أو "الديباجة" ونحى نطق عليه "الرواء الأدبي" وهذا الذي يطلق عليه ياكوبسون "الأدبية".¹⁰⁷

وهذا التنوع في المصطلحات يدل على أن هذا المفهوم كان شائعا ومتداولاً بقوة في كتاباتهم النقدية و الأدبية، ولكن هل يحمل المصطلح القديم نفس الحمولة التي هي في المصطلح الجديد في رأي مرتاض؟

وقد علق مرتاض على الجاحظ الذي انتقد بيتي الشيباني ورأى أن رأي الجاحظ ما هو إلا بعض هذا الأدبية التي نتكلم عنها" ولكن في ثوب لفظي جديد كما يمكن أن نلتبس هذا الأدبية أيضا في التراث البلاغي العربي".¹⁰⁸

من خلال هذا النص وغيره يتبين إصرار مرتاض على أصالة هذا المصطلح في التراث النقدي العربي وعلى أنه متجذر في الثقافة العربية ومهما اختلفت الأسماء فالمسمى واحد.

ومع هذا كله فإن مرتاضا لم يغفل عن تجليات هذا المصطلح في النقد الغربي المعاصر ولم يغمطه حقه بل أثبتته لرومان جاكوبسن عندما قال: "ولما كانت الأدبية من المصطلحات التي أنشأها رومان جاكوبسن منذ سنة 1921...".¹⁰⁹

وقد أشار مرتاض مقارنا بين أدبية جاكوبسن وأدبية النقاد العرب القدامى و أقر بأن هناك فرق بينهما وأن كلاهما بقي غامضا. "غير أن مفهوم الأدبية يظل غامضا عبر العصور: فما معنى الديباجة لدى العرب؟ أهى مجرد انتقاء الألفاظ الأنيقة الرقيقة في نسج الشعر أم هي شيء أعمق قرارا وأبعد غورا... بيد أن أدبية العرب (الرونق -الديباجة) ظلت غامضة بمقدار ما ظلت أدبية ياكوبسن غامضة".¹¹⁰

هنا يقر مرتاض بزئبقية هذا المفهوم سواء عند العرب أو عند الغرب , فهل كل من انتقى ألفاظا وراعى مقام هذه الألفاظ والموضوع الذي تتناوله وأحسن في تركيبها حصلت له الأدبية؟

107 - عبد الملك مرتاض - نظرية القراءة ص 97.

108 - عبد الملك مرتاض - أ.ي دراسة سيميائية تفكيكية - صص 16 - 17.

109 عبد الملك مرتاض . نظرية النص الأدبي ص58.

110 المرجع نفسه . ص60 .

ونرى أن مرتاضاً يعتمد أحياناً على المصادر الغربية (قريماس وكورتيس) في تعريفه للشعرية في مثل قوله: " في حين أن قريماس وكورتيس أن الشعرية هي (بالمفهوم الجاري تعني إما دراسة الشعر (etude de la poésie) وإما-وذلك بإدماج النثر- النظرية العامة للأعمال الأدبية la théorie général des œuvres littéraires".¹¹¹

كما اعتمد على المصادر العربية التي تعرضنا لها سابقاً .

المبحث الثالث:

أصول مصطلح التناص

1- تعريف المصطلح :

1-1. لغة:

1-1. أ. عند العرب :

ورد في "لسان العرب" لابن منظور مصطلح "النص" في مادة (نصص) الآتي: "نصص: النص رفعك الشيء، نص الحديث ينصه نصاً، رفعه، وكل ما أظهر فقد نُصَّ: وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلاً أنصَّ للحديث من الزهري أي أرفع له و أسند. يقال: نصَّ الحديث إلى فلان أي رفعه، وكذلك نصصته إليه. ووضع على المنصة أي على غاية الفضيحة و الشهر ة و الظهور. والمنصة ما

¹¹¹ المرجع نفسه ص 95.

تظهر عليه العروس لثرى... نصّ المتاع نصّاً جعل بعضه على بعض... ونصّ كل شيء منتهاه
النصنصة و النصنصرة الحركة.¹¹²

1-1. ب - عند الغرب :

ورد في قاموس لاروس تعريف مصطلح " Texte " ما يلي : " هو عمل فني أو جزء من عمل أدبي . أو هو كل كتابة معتبرة في شكلها التحريري .¹¹³ .

أما جون ديبوا فقد عرفه في قاموسه اللسانياتي المتخصص بـ : " ندعو النص على مجموعة الملفوظات اللسانية الخاضعة للتحليل , النص إذن عينة من السلوك اللغوي الذي يمكن أن ينطق أو يكتب . يأخذ يلمسليف كلمة نص بمعنى أوسع ويعني بها المنطوق أيّا كان , تُقرأ أو تُكتب , طويلة أو مختصرة , قديمة أو حديثة , فعنده مثلا : قف . هو نص .¹¹⁴ .

يلاحظ الباحث أن مصطلح " النص " عند الغرب يبدأ من الجملة حسب يلمسليف إلى توالي هذه الجمل حتى تكوّن عملا أدبيا أو جزء من العمل الأدبي , وسواء كان هذا العمل منطوقا أو مكتوبا .

1-1. ج - استخلاص :

هناك فرق شاسع بين تعريف العرب للنص وتعريف الغرب له , فكان يعني عند العرب رفع الحديث , فأصبح يعني الحديث نفسه , فهناك إذن انتقال للدلالة .

1-2. اصطلاحاً:

1-2. أ- عند العرب:

¹¹² ابن منظور - لسان العرب المحيط - المجلد 03. ص 648.

¹¹³ Le petit Larousse : p 1005.

¹¹⁴ Jean dubois et autres _ Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage p 482

يشغل مصطلح "التناص" حيزاً كبيراً في الدراسات النقدية المعاصرة العربية منها و الغربية , و لا يعني هذا أنه لم يرد في التراث النقدي العربي قديماً بل ورد و تدوّل بشكل كبير و لكن تحت اسم(السرقا) أو(الأخذ) و(الانتحال)...

والناظر في الكتب النقدية القديمة مثل:(الشعر والشعراء) لابن قتيبة ،(البيان و التبیین)للجاحظ ،(عيار الشعر)لابن طباطبا و(العمدة) لابن رشيق القيرواني يجد أن كل واحد من هؤلاء قد تناول هذا المصطلح . ولأهمية مصطلح التناص فقد ذهب كل واحد منهم يسميه باسم يراه أليق من غيره فظهرت بذلك عدّة مصطلحات لهذا المفهوم :السرقة - الأخذ - الإغارة - الاقتباس -المشترك - السلخ - النسخ...

استخدم محمد بن سلام الجمحي [ت 232هـ] في كتابه طبقات الشعراء مصطلح الاجتلاب

ومصطلح السرقة وذلك حينما نسب أهل البادية بيت النابغة للزيرقان بن بدر :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتنتقي مريض المستنفر الحامي

فقال ابن سلام : " سألت يونس عن البيت فقال هو للنابغة أظن الزيرقان استزاده في شعره كالمثل حين جاء موضعه لا مجتلبا له وقد تفعل ذلك العرب لا يريدون به السرقة"¹¹⁵.

واستعمل مصطلح الإغارة , فهو القائل في كتابه : " كان قراد بن حنش من شعراء غطفان , وكان جيد الشعر قليله , وكان شعراء غطفان تغير على شعره فتأخذه وتدعيه"¹¹⁶.

نلاحظ من خلال استعمال ابن سلام لهذه المصطلحات المختلفة في كتاب واحد أن هناك فرقا بينها فالاجتلاب هو جلب الشاعر للبيت الواحد من غير شعره وادعاؤه بأنه له , أما الإغارة في أخذ القصيدة بكاملها أو شعر الشاعر بأكمله , وفي كلا المصطلحين تتوفر قصدية الأخذ والسرقة , الأمر الذي يختلف فيه التناص مع هذين المصطلحين .

وقد استعمل الجاحظ [ت 255هـ] مصطلح السرقة إذ يقول : " لا يعلم في الأرض شاعر تقدم في تشبيهه مصيب تام , وفي معنى عجيب غريب , أو في معنى شريف كريم ... إلا وكل من جاء من الشعراء , من

¹¹⁵ محمد بن سلام الجمحي - طبقات الشعراء - مطبعة بريل , ليدن 1916 , صص 17 , 27

¹¹⁶ المرجع نفسه - ص : 147

بعده أو معه , إن هو لم يعد على لفظه فيسرق بعضه أو يدعيه بأسره , فإنه لا يدع أن يستعين بالمعنى , ويجعل نفسه شريكا فيه " ¹¹⁷ , واستعمل كذلك مصطلح الأخذ ¹¹⁸ .

أما ابن قتيبة فقد استخدم عدة مصطلحات مثل : السلخ ¹¹⁹ , والإتباع ¹²⁰ والأخذ ¹²¹ , وقد قال في كتابه الشعر والشعراء : " وكان الناس يستجيدون للأعشى قوله :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

حتى قال أبو نواس :

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء

فسلخه وزاد فيه معنى آخر اجتمع له به الحسن في صدره وعجزه , فللأعشى فضيلة سبق عليه , ولأبي نواس فضل الزيادة فيه " ¹²²

وزيادة في الشرح ندرج مثالا آخر , وهو ذلك البيت المشهور للنابغة الذبياني:

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

يقول فيه أبو هلال العسكري بأنه مأخوذ من شاعر من كندة , والبيت هو :

هو الشمس وافت يوم دجن فأفضلت على كل ضوء والملوك كواكب ¹²³

نلاحظ حضور هذا البيت الأخير في بيت النابغة , حيث أن المعنى العام لبيت النابغة لا يكاد يخرج عن معنى بيت الشاعر الكندي والذي معناه العام هو : رفعة وشرف مكانة الممدوح إلى درجة أن غيره من الناس الشرفاء تختفي مكانتهم إلى مكانة الممدوح ويخبو نورهم إلى نوره .

¹¹⁷ الجاحظ - الحيوان ج 3 , ص 311.

¹¹⁸ الجاحظ - البيان والتبيين ج 2 , ص 17

¹¹⁹ ابن قتيبة - الشعر والشعراء - مطبعة بريل ليدن , 1902, ص 13

¹²⁰ المرجع نفسه ص 40.

¹²¹ المرجع نفسه ص 53 , 54.

¹²² المرجع السابق ص 13.

¹²³ أبو هلال العسكري - كتاب الصناعتين - تحقيق أبي الفضل إبراهيم - ط دار إحياء الكتب العربية - 1952 , ص 197.

أما المرزباني [ت 384هـ] فقد استعمل مصطلح المسخ في كتابه "الموشح" والمسخ هو تقصير الشاعر عن المعنى الذي أخذه عن سابقه , وأعطى مثالا عن ذلك قائلا :

" بيت بشار :

جفّت عيني عن التغميض حتى كأن جفونها عنها قصار

قد مسخه العتابي فقال :

وفي المآقي انقباض عن جفونها وفي الجفون عن الآماق تقصير¹²⁴.

وقد استخدم ابن رشيق القيرواني [ت 456هـ] عدة مصطلحات : كالاصطراف والإغارة والنسخ ..

" الاصطراف وهو أن يعجب الشاعر ببيت من الشعر فيصرفه إلى نفسه .

[...] والإغارة أن يصنع الشاعر بيتا , ويخترع معنى مليحا فيتناوله من هو أعظم منه ذكرا وأبعد صوتا

فيروى له دون قائله .[...]. والاهتمام أو المسخ هو السرقة فيما دون البيت "¹²⁵.

يلاحظ الباحث من خلال ما عرض من استعمالات مختلفة لمصطلح السرقة أن مفهوم السرقة عند النقاد القدامى كان متقاربا إلى درجة أن بعض النقاد - وليس كلهم - كرروا هذا المصطلح دون أن يضيفوا له جديدا , والملاحظ كذلك أنه كلما تقدم الزمن على هذا المصطلح زاد النقاد في التفصيل فيه , كما لاحظنا ذلك عند ابن رشيق الذي يميز بدقة بين المصطلحات في ظاهرها متقاربة , كالتفريق بين الاصطراف والإغارة والاهتمام والمسخ .

و لم تدرس السرقات دراسة منهجية - حسب محمد مندور- إلا عندما " ظهر أبو تمام و ذلك لأمرين :

1- قيام خصومة عنيفة حول الشاعر .

¹²⁴ أبو عبيد الله بن عمران المرزباني - الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء - ط المطبعة السلفية بالقاهرة 1343 هـ , ص 293.

¹²⁵ الحسن بن رشيق القيرواني - العمدة في صناعة الشعر ونقده , ط مطبعة السعادة بالقاهرة 1907 , صص 216, 223.

2- عندما قال أصحاب أبي تمام: إن شاعرهم قد اخترع مذهباً جديداً و أصبح إماماً فيه لم يجد خصوم هذا المذهب سبيلاً إلى ردّ ذلك الإدعاء غير أن يبحثوا للشاعر عن سرقاته ليدلوا على أنه لم يجدد شيئاً¹²⁶.

و قد ذهب النقاد القدامى إلى تقسيم و تصنيف السرقة إلى عدّة أنواع و كل نوع له خصائصه و مميزاته، فهذا ابن رشيق القيرواني يقسمها إلى ثلاثة أقسام عندما قال: "من أخذ معنى بلفظه كما هو كان سارقاً فإن غير بعض اللفظ كان سالخاً فإن غير بعض المعنى ليخفيه أو قلبه عن وجهه كان ذلك دليل حذقه"¹²⁷.

و من هذا نستنتج أن تقسيمه للسرقة كان بمقاييسين هما: اللفظ و المعنى. و أعلى رتبة في السرقة هي أن يغيّر الآخذ من اللفظ و المعنى معاً.

وليس ببعيد منه تقسيم ابن الأثير لها. غير أنه غير في المصطلحات: النسخ و السلخ و المسخ¹²⁸.

أ - النسخ: وقوع الحافر على الحافر.

ب - السلخ: هو الذي يؤخذ فيه المعنى وأكثر اللفظ (وقد قسمه إلى إثني عشر ضرباً)

ت - المسخ و هو نمطان:

1- قلب الصورة الحسنة إلى صورة قبيحة .

2- قلب الصورة القبيحة إلى صورة حسنة .

أما الحاتمي فقد ذهب مذهباً بعيداً فقد قسم السرقة إلى تسعة عشر نوعاً و لا بأس أن نذكر بعضاً منها¹²⁹: الانحال - الانتحال - الإغارة - المعاني العظم - الموارد - المؤاخذة - الاجتلاب و الاستلحاق - الاضطراف.

¹²⁶ محمد مندور - النقد المنهجي عند العرب - دار النهضة المصرية للطبع و النشر . مصر . د.ت.ص 357.

¹²⁷ ابن رشيق القيرواني . العمدة . تح : محمد محي الدين عبد الحميد . نشر المكتبة التجارية بالقاهرة ودار الجيل . بيروت ج.2. ص 281.

¹²⁸ ابن الأثير - المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر - منشورات دار الرفاعي بالرياض. ج.3. ص 273-330.

¹²⁹ الحاتمي - حلبة المحاضرة - مخطوطة برقم 2334 ص ص 80-90 نقلا عن: مصطفى السعدني - التناص الشعري (قراءة أخرى لقضية السرقات) منشأة دار المعارف - الإسكندرية - مصر 1991-ص 55.

يلاحظ الباحث من خلال عرضه لهذه المصطلحات كالاهتمام والمسح والسلخ والنسخ و الاضطراب والإغارة .. هي عبارة عن مستويات السرقة وأنواعها , كما أن للتناص المعاصر مستوياته وطرقه .
ويتبين للباحث أن قضية السرقات الشعرية كان لها اهتمام و حظ كبير لدى النقاد العرب القدامى , و أنهم لم يتفقوا على مصطلح واحد لهذا المفهوم.

1- 2- ب عند الغرب:

ظهر مصطلح التناص للمرة الأولى بشكل غير مكتمل على يد الباحث "باختين" ولكنه نضج واكتمل - كما يرى محمد خير البقاعي - على يد الباحثة البلغارية جوليا كرستيفا " في كثير من المحاولات المكتوبة بين عامي 1966 و 1967 ظهرت في مجلة Telquel ومجلة Critique التي أعيد نشرها في semeiotike وفي كتابها نص الرواية و في النقدي لكتاب (دوستوفسكي) لباختين¹³⁰.

والنص الشعري عند كرستيفا ينتج ضمن حركة معقدة ومركبة من إثبات النصوص الأخرى ونفيها في آن , لذلك عرفت التناص قائمة هو : "ذلك التقاطع داخل التعبير مأخوذ منصوص أخرى"¹³¹.

و التقاطع هو تداخل نصوص أخرى بالنص الحاضر المراد إبداعه ويقضي هذا التقاطع حضور النصوص الغائبة في النص الحاضر ؛ فالشاعر مثلا عندما يكون بصدد كتابة بيت أو قصيدة تحضر في ذهنه معان مشابهة للمعنى الذي أراد أن يكتبه , هذه المعاني كان قد حفظها سلفا أو مر بها فالتصقت بذهنه وهي حتما ستؤثر عليه في صناعة معناه الجديد.

أولا - التناص عند رولان بارت:

¹³⁰ محمد خير البقاعي -دراسات في النص و التناصية- مركز الإنماء الحضاري-حلب-سورية ط1 1998-دار المعارف - ص ص 59-60.

¹³¹ مارك انجنيو - مفهوم التناص في الخطاب النقدي الجديد-تر:احمد المديني-دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد1987 . ص103.

تحدث رولان بارت عن التناص في كتابه " لذة النص " قائلا : "أتذوق سيطرة الصيغ ، وانقلاب الأصول ، والاستخفاف الذي يستحضر النص السابق من الحاضر وما أدركه هو أن أعمال بروسست هي بالنسبة إليّ ، وفي الأقل ، من مرتبة المراجع ، وهي أيضاً المعرفة العلمية والخارطة الكونية لنشأة الكون الأدبي برمته وهذا لا يعني أنني "مختص" ببروسست : إن بروسست هو الذي يحضرنى ولست الذي أناديه ، إنه ليس مرجعاً حتمياً، وإنما مجرد ذكرى دائرية (محتومة) وهذا هو بالضبط التناص : استحالة العيش خارج النص اللامتناهي، سواء كان هذا النص بروسست أو الصحيفة اليومية ، أو شاشة التلفزيون. الكتاب يصنع المعنى والمعنى يصنع الحياة"¹³².

وتكمن أهمية هذا المصطلح -التناص- في كشفه لحقيقة كبيرة و هي : لا وجود لنصٍ بئْرِ خالٍ من الملامسات الذهنية الأخرى ، الأمر الذي جرّ، رولان بارت إلى القول بأن " التناصية قدر كل نصّ مهما كان جنسه"¹³³.

يستخلص الباحث من خلال هذا القول أن بارت وسع من دائرة التناص فقد أخرج من علاقة الملفوظات بالملفوظات إلى علاقة الملفوظات بالعالم الخارجي ، وهذا الذي نقض النظرية البنيوية القائلة بسجن اللغة .

ثانياً - التناص عند جيرار جينيت :

استعمل جيرار جينيت مصطلح " المتعاليات النصية " وهي في فهمه كل ما يجعل النص في علاقة ظاهرة أو ضمنية مع نصوص أخرى¹³⁴.

وقد قسم جينيت المتعاليات النصية إلى خمسة أنواع من العلاقات:¹³⁵

1/ التناص Intertextualité : حضور متزامن بين نصين أو عدة نصوص بواسطة السرقة والاستشهاد ثم التلميح .

¹³² رولان بارت : " لذة النص " ترجمة د . محمد خير البقاعي - المجلس الأعلى للثقافة - المشروع القومي للترجمة - 1998 ص: 43

¹³³ رولان بارت -نظرية النص -تر :محمد خير البقاعي -العرب و الفكر العالمي -بيروت.ع3-1988-ص96.

¹³⁴ عبد القادر بقشي - التناص في الخطاب النقدي والبلاغي - أفريقيا الشرق , المغرب - 2007 ص : 21.

¹³⁵ المرجع نفسه ص : 22 نقلا عن : Gérard Genette . Palimpsestes. P 07

2/ المناص Paratexte : يشمل جميع المكونات التي تهتمّ عتبات النص كالعنوان والعنوان الفرعي والعنوان الداخلي والديباجات والحواشي والرسوم وحتى المسودات ..

3/ الميتانص Meta textualité : يتعلق بعلاقة التفسير والتعليق التي تربط نصا بآخر يتحدث عنه دون استشهاد به أو استدعائه , وهي علاقة نقدية غالبا .

4/ معمارية النص Arche textualité : أي النوع الأدبي الذي ينتمي إليه نص ما , لأن تمييز الأنواع الأدبية من شأنه أن يوجه أفق انتظار القارئ أثناء عملية القراءة .

5/ التعلق النصي Hypertextualite : كل علاقة تجمع نصا (ب) بنص سابق (أ) , وسماه الأدب من الدرجة الثانية .

و يرجى من هذا التناص فائدة أدبية فهو الذي يعيد قراءة النصوص الغائبة التي حضرت فيه بشكل مغاير كما يقول ذلك "فيليب سولرس" عندما عرّف التناص قائلاً : "كل نص يقع في مفترق طرق نصوص عدّة فيكون في آن واحد إعادة قراءة لها واحتداداً، و تكثيفاً و نقلاً و تعميماً".¹³⁶

من خلال ما عُرِض من أقوال وآراء في التناص للنقاد الغربيين يخلص الباحث إلى أن النقد الغربي وسع من مفهوم التناص أكثر مما توسع مصطلح السرقات الشعرية عند العرب , فالتناص يهتم بالنص وبعثبات النص ولم يربط التناص بالملفوظات فقط بل تعداها إلى العالم الخارجي كالتاريخ والثقافة .. ولم يركز على النص المأخوذ منه كما فعلت السرقات الشعرية .

2 _ أصول مصطلح التناص عند مرتاض :

تناول مرتاض هذا المصطلح في كتاباته بشكل موسع , ونفى أن يكون هذا الأخير وليد الحداثة النقدية و يعترض على ذلك في قوله بأن بعض النقاد العرب "يعتقدون أن شيطان

¹³⁶ مصطفى السعدني -التناص الشعري (قراءة أخرى لقضية السرقات).ص:08.

العلم هو الذي قيض هذه النظرية تقييماً لطيفاً للحادثة الفرنسية سنة 1958 فاهتدت إليها السبيل ، فهي وحدها صاحبة هذا الفتح المبين وهي - دون سوائها - أم هذا التأسيس العظيم ولا أحد من النقاد العرب ، أو من غير النقاد العرب أيضا ، كان فكر في ذلك قبلها أو قدر أو حام حول هذا المفهوم أو اقترب ، على الرغم من تطاول العهود ، وتعاور العصور ، وكثرة الرجال وانتشار العلم ... و إنما لنخالف عن هذا الرأي - نوكد ذلك توكيدا - ولا نقبل به شيئاً ذلك بأن قداماء النقاد العرب كانوا خاضوا في هذه المسألة

137» .

من خلال هذا النص يكون مرتاض قد نفى أن يكون أصل التناص هو الحادثة الفرنسية و لم ينف أن تكون لها يد فضل عليه.

2- 1- الجرجاني والسراقات الشعرية:

أما عن أصل التناص فإن علي بن عبد العزيز الجرجاني - حسب مرتاض - هو أول من اصطنع مصطلح " السراقات " في النقد العربي القديم وبلور مفهومه وأرسى مبادئه ، وتوسع فيه .¹³⁸ لكن مرتاض يرفض مصطلح (السراقات) لأنه إهانة للشعراء.

و قد أشاد مرتاض بالجرجاني عندما قرأ له مقولة يتحدث فيها عن السراقات الشعرية و مقولة الجرجاني هي : "فمتى نظرت فرأيت أن تشبيه الحسن بالشمس و البدر و الجواد بالغيث (...)" و صنف سبق المتقدم إليه ففاز به ، ثم تُدوول بعده فكثروا و استعمل فصار كالأول في الجلاء و الاستشهاد والاستفاضة على ألسن الشعراء فمتى نفسه من السرقة و أزال عن صاحبة مذمة الأخذ

139 .»

¹³⁷ عبد الملك مرتاض-نظرية النص الأدبي .ص189-190.

¹³⁸ المرجع نفسه ص197 .

¹³⁹ علي بن عبد العزيز الجرجاني -الوساطة بين المتبني و خصومه-ص: 183 .

وقد قال عنه مرتاض معقباً: "الجرجاني في هذا التنظير المبكر ليس في النقد العربي القديم فحسب: ولكن في تاريخ النقد الإنساني من حيث هو، يكشف عن فكر ثاقب (...). فليست نظرية التناص إلا بعض ما يرد في هذا النص الذي استشهدنا به"¹⁴⁰.

2-2- الجاحظ والسراقات الشعرية :

لم يعتمد مرتاض في تأصيله لمصطلح " التناص " على الجرجاني فقط بل ذهب إلى الجاحظ وغيره. وقد أتى على مقولة الجاحظ التالية :

"لا يُعلم في الأرض شاعر تقدم في تشبيهه مصيب تام و في معنى عجيب غريب أو في

معنى شريف كريم (...). إلا وكل من جاء من الشعراء من بعده أو معه إن هو لم يعد على لفظه أو يدعيه بأسره ، فإنه لا يدع أن يستعين بالمعنى و يجعل نفسه شريكاً فيه كالمعنى الذي تتنازع الشعراء فتختلف ألفاظهم و أعاريض أشعارهم و لا يكون منهم أحق بذلك المعنى من صاحبه"¹⁴¹ , و قال مرتاض بأن الجاحظ يقر بنظرية التناص دون إيجاد مصطلح لهذا المفهوم.¹⁴²

و هذا إقرار آخر من مرتاض أن مصطلح التناص عربي الأصل و لكنه لم يجد لنفسه مصطلحاً لائقاً .

2-3- ابن طباطبا والسراقات الشعرية :

لم يكتف مرتاض بالجاحظ و الجرجاني بل ذهب إلى ابن طباطبا و استخلص من خلال كلامه أن نظرية السراقات تنهض على ستة أصول تقريباً و شهد له بعد ذلك بأن مشروعته في السراقات كان متكاملًا وذلك:

¹⁴⁰ عبد الملك مرتاض - في نظرية النقد - ص233.

¹⁴¹ الجاحظ، الحيوان-ج3، ص311.

¹⁴² عبد الملك مرتاض - نظرية النص الأدبي-ص214.

- لأن ابن طباطبا وسع دائرة السرقات , فقد كانت قبله محصورة في الشعر فقط فوسعها لتشمل الكتابة كلها .

وكذلك وضع شروطا للإغارة (السرقة) :

1 - لا ينبغي للأديب أن يغير إغارة مكشوفة على المعاني فيودعها أدبه أو شعره لأن ذلك مفسدة للإبداع.

2 - إدامة النظر في الأشعار الجيدة لكي تلتصق معانيها في ذهنه جيدا فيساعده ذلك على النظم الجيد .

كما بحث ابن طباطبا على حفظ الجيد من النصوص ثم تناسيها , فيكسبه ذلك قريحة أدبية.

و كذلك اللجوء إلى شيء من الحيلة في تناول المعاني واستعارتها وتزيينها حتى تخفى سرقتها على النقاد .

و لا بأس بالإغارة على معاني الشعراء لكن بشرط تحويل تلك المعاني عن مواضعها , فإذا وجد الشاعر

أو معنى مليحا في الغزل استعمله في المدح مثلا . و عمم هذا الأمر الأخير

على النثر أيضا .¹⁴³

لهذه التجديدات مجتمعة وسم مرتاض مشروع ابن طباطبا في السرقات الشعرية بأنه متكامل.

2- 4 - مرتاض ونقده لنظرية التناص :

مع هذا التأييد الكبير ، والدفاع عن نظرية السرقات الشعرية العربية إلا أن مرتاضا ينتقدها قائلاً: " ولعلّ

أكبر عيب في نظرية السرقات الأدبية العربية (...)أنهم كانوا لا يزالون يرهقون أنفسهم باللهاث وراء

أبيات يستقصون أفكارها و ألفاظها فيلتمسون الشبه الموجود بينها ليدنّوا الآخذ ولو جاءه ذلك من توارد

الخواطر".¹⁴⁴

¹⁴³ المرجع السابق ص ص 226, 232.

¹⁴⁴ المرجع نفسه ص 217.

و طبعاً هذا العيب إجرائي ؛ أي تسليط هذا المصطلح الواسع وتضييق عمله في البحث عن موضع السرقة وعن البيت المسروق. و ليس عيباً في النظرية في حدّ ذاتها.

أما عن التناص عند الغرب، فقد قال مرتاض بأن " الناقد الفرنسي جان جيرودو (1882-1944) قد سبق الحداثيين عندما قال إن السرقة الأدبية هي أساس كل الآداب باستثناء الأول منها. المجهول على كل حال " ¹⁴⁵ و بهذا قد خالف المقولة التي تشيع أن جوليا كريستيفا هي أول من قعدت في هذا المصطلح .

وقد أخذ مرتاض تعريف التناص من معجم لاروس : "مجموعة من العلاقات التي يمارسها نص و لا سيما نص أدبي مع نص آخر أو مع نصوص آخر سواء على مستوى إبداعه أو على مستوى قراءته و ذلك بالتقريبات التي يحدثها القارئ" ¹⁴⁶ .

من خلال ما تقدم نرى أن مرتاض يصرّ على أن التناص عربي الأصل وإن لم يلبس هذا المصطلح فيما سبق ، و نراه لا يتحرج في أن يتبنى آراء بعض أعلام النقد الغربي في هذا المصطلح و يتناولها كذلك بالنقد ، و من هؤلاء الأعلام : قريماس، كرسيتيفا، باختين جان جيرودو و غيرهم.

¹⁴⁵ المرجع السابق ص 192 .

¹⁴⁶ La rousse . dictionnaire encyclopedique illustre . intertextualite . paris . 1999 نقلنا عن المرجع نفسه ص193

المبحث الرابع

أصول مصطلح "الخطاب"

1- تعريف المصطلح:

1 - 1 - الخطاب لغة:

1 - 1 - أ - عند العرب :

وردت كلمة "الخطاب" في القرآن الكري م عند قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَنْتَبَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابَ﴾ (سورة، ص، الآية 20)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ (سورة، ص، الآية 23)، وتوسع الإمام الطبري في تفسير الآية الأولى فقال :

" اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم : عني به أنه علم القضاء والفهم ... وقال آخرون بل معنى ذلك تكليف المدعي البينة واليمين على المدعي عليه ... وقال آخرون بل هو قول أما بعد ... والفصل هو القطع والخطاب هو المخاطبة " ¹⁴⁷.

وقال السعدي في تفسير الآية الثانية: " أي غلبنني في القول , فلم يزل بي حتى أدركها أو كاد " ¹⁴⁸ , أما الإمام الطبري فقد قال فيها : " صار أعز مني في مخاطبته إياي لأنه إن تكلم فهو أبين مني " ¹⁴⁹ .
وفي لسان العرب لابن منظور في مادة "خطب " التالي:

" الخطبُ: الشَّانُ أو الأمر صغر أو عَظُم وقيل هو سبب الأمر، يقال ما خطبك؟ أي ما أمرك؟ وتقول هذا خطب جليل، وخطب يسير والخطب الأمر الذي تقع فيه المخاطبة والشأن والحال.
...والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان.

قال الليث: والخطبة مصدر الخطيب وخطب الخاطب على المنبر واختطب يخطب خطابةً..والخُطبة مثل الرسالة التي لها أول وآخر " ¹⁵⁰.

نفهم من هذا كله أن الخطاب كانت العرب تفهمه على أنه القول أو المخاطبة الشفهية ويقتضي وجود متكلم ومستمتع وبينهما كلام(رسالة) في موضوع ما.

1 - 1 - ب - عند الغرب :

يعرف معجم لاروس مصطلح " Discours " كالاتي : " أصلها اللاتيني Discursus وهي توسع خطابي حول موضوع معين منطوق به للجمهور . " ¹⁵¹ , فمعجم لاروس يفترض جمهورا أي أن الخطاب لا

¹⁴⁷ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري , جامع البيان في تأويل القرآن , مؤسسة الرسالة , ط1, 2000 , تح : أحمد محمد شاكر ج 21 صص 171,172,173.

¹⁴⁸ عبد الرحمان بن ناصر السعدي , تفسير السعدي , مكتبة الإيمان , المنصورة , د ط , دت صص 763.

¹⁴⁹ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري , جامع البيان في تأويل القرآن , ج 21, ص 177.

¹⁵⁰ ابن منظور, لسان العرب, مج 1, ص 855.

¹⁵¹ Le petit Larousse: p338 :

يكون إلا شفويا، وهذا الذي وافقه فيه معجم اللسانيات لجون دييوا إذ يقول هو " تفعيل اللغة ، اللغة المفترضة بواسطة متكلم " .¹⁵²

والخلاصة من خلال هذين التعريفين أن الخطاب يُنطق ، ويفترض سامعا " مخاطبا "

1 - 1 - ج - استخلاص :

نخلص من خلال تعريف العرب للخطاب وتعريف الغرب لـ "Discours" أنهما متطابقين فكلاهما يفترض لغة تُفَعَّل من طرف متكلم ومستمع.

1 - 2 - الخطاب اصطلاحا:

1 - 2 - أ - عند العرب قديما:

ذهب الزمخشري إلى أن (فصل الخطاب) المذكورة في الآية : ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابَ﴾ (سورة، ص، الآية 20) هو " البين من الكلام المخلص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه " .³

ولا يبتعد الزمخشري عن هذا المعنى في موضع آخر يشرح فيه مادة (خطب) قائلا: " خطب خاطبه أحسن الخطاب وهو المراجعة بالكلام وخطب الخطيب خطبة حسنة وخطب الخاطب خطبة جميلة" ⁴ ، يتبين للباحث حسب الزمخشري أن الخطاب في مفهومه العام هو الكلام الموجه إلى المستمع دون تعقيد أو تنظير معقد. وحتى التهانوي كرر نفس الكلام في كتابه (كشاف اصطلاحات الفنون) فقال: " توجيه الكلام نحو الغير للإفهام" .⁵

وإن الأمر الذي أضافه هو نية الإفهام فلا يكون الخطاب لأجل نفسه، لا يحمل الوظيفة الإبلاغية. وهذا الأمر الذي يصر عليه الكفوي " في كتابه (الكليات) . ووصل به الإصرار إلى أن لا يعتبر الخطاب

¹⁵² Jean dubois et autres _ Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage p150

³ جار الله الزمخشري - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - دار الكتاب العربي، بيروت، 1987 ، مج4، ص 80

⁴ جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، تح:مزيد نعيم،شوقي المصري،مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1998 مادة خطب.

⁵ التهانوي،كشاف اصطلاحات الفنون،تح، لطف عبد البديع،ج2 الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1972، ص 175

خطاباً إلا إذا كان بنية الإبلاغ والإفهام قائلاً: " اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه، احترز " باللفظ " عن الحركات والإشارات. والمفهمة" بالمواضعة " و" بالمتواضع عليه " عن الألفاظ المهملّة و" بالمقصود به الإفهام " عن كلام لم يقصد به إفهام المستمع فانه لا يسمى خطاباً ويقوله" لمن هو متهيئ لفهمه " عن الكلام لمن لا يفهم كالنائم¹.

والملاحظ أن الكفوي وضع الحدود الكاملة لعناصر حلقة الخطاب وهم ثلاثة:

المخاطب: يجب أن تتوفر لديه نية الإفهام.

المخاطب: يجب أن يكون متهيئاً لتلقي الخطاب.

الخطاب: (الرسالة) أن تكون مما تواضع الناس عليه.

ونستطيع أن نجمل القول إن العرب قديماً عرفوا أن للخطاب ثلاثة عناصر: مخاطب، ومخاطب وبينهما كلام (خطاب) يحوي نية الإفهام. دون أن يتوغلوا إلى أنواع الخطاب أو المكونات الإيديولوجية أو شفراته.

1 - 2 - ب - عند العرب حديثاً:

أخذ مصطلح الخطاب عند النقاد العرب المحدثين حمولة دلالية جديدة وذلك باعتمادهم على اللسانيات التي حاولت تطوير مفهوم الخطاب وإعطائه أبعاداً لغوية و دلالية جديدة.

فهذا أنطوان مقدسي يعرفه قائلاً: " هو جملة علائقية لحالية مكتفية بذاتها، وهي مكتفية بذاتها أي أنها مكاناً وزماناً وجوداً ومقاييس لا تحتاج إلى غيرها².

ويقصد من قوله مكتفي بذاتها أي أنها لا تحتاج إلى السياق الخارجي. وتعريف "المسدي" غير بعيد عن هذا التعريف فهو الذي قال: " إن ما يميز الخطاب هو انقطاع وظيفته المرجعية لأنه لا يرجعنا إلى شيء ولا يبلغنا أمراً خارجياً إنما هو يبلغ ذاته، وذاته هي المرجع والمنقول في نفس الوقت³.

¹ أبو البقاء الكفوي، الكليات، القسم الثاني، تح، عدنان درويش، محمد الحصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1982، ص 286.

² نور الدي السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة، الجزائر، 1997، ص 67.

من خلال هذين التعريفين يلاحظ الباحث بصمات البنيوية فيهما فهي التي قالت بسجن اللغة وانقطاع
إحالة النص إلى السياق الخارجي ردا على المناهج السياقية التي غالت في الاهتمام بالسياق الخارجي
للنص .

كما يرى الباحث أن " يبنى العيد " لا تفرق بين مصطلح " الخطاب " ومصطلح " القول " بل تفضل
المصطلح الثاني على الأول لأنه الأكثر أصالة. وقد عرفته قائلة: " فعالية يمارسها متكلم يعيش في مكان
اجتماعي وفي زمان تاريخي وهو من حيث هو كذلك ذو طابع تناقضي هذا الطابع هو نفسه العلاقات
الاجتماعية بين الناس في المجتمع"¹.

ونلمس من هذا التعريف - على عكس ما وجدناه عند المسدي - تركيز الناقدة على الجانب الاجتماعي
وذلك إرضاءً لميولها النقدي، وذلك أنها تتبنى المنهج البنيوي التكويني ، كما في كتابها (في معرفة النص).
ومن التعاريف المتكاملة التي أنتجها النقد العربي - في نظر الباحث - هو تعريف عبد الله إبراهيم الذي
يجمع فيه بين الجانب النحوي اللغوي والجانب الفني والجانب الثقافي. قائلا: هو " مظهر نحوي مركب من
وحدات لغوية ملفوظة أو مكتوبة ويخضع إلى قواعد في تشكله وتكوينه الداخلي قابلة للتنميط والتعيين بما
يجعله خاضعا لشروط الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه سرديا كان أم شعريا ومرتها بالخصائص النوعية
لجنسه ونجد فيه صدى واضحا لأثار الزمن والبني الثقافية "².

من خلال هذا التعريف يرى الباحث أن عبد الله إبراهيم يوسع من دائرة الخطاب فليس المنطوق فقط
خطابا بل حتى المكتوب ، كما بين أن الخطاب أنواع فهناك الشعري والروائي و... ولكل خطاب مميزاته
بحسب الجنس الذي ينتمي إليه الخطاب وبحسب البيئة التي أنتجته .

³ عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، ط3، ص 116.

¹ يبنى العيد، في القول الشعري، دار توبقال، للنشر، المغرب، ط1، 1987، ص 12.

² عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، المركز الثقافي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1999، ص 116.

وتأسيسا على ما تقدم يمكن القول إن النقد العربي طوّر مفهوم الخطاب بالاستناد إلى النقد الغربي، وأعطاه أبعادا أخرى غير العناصر الثلاثة (الخطاب، المخاطب، المخاطب) . ويمكن القول أيضا إن التعريفات المتباينة التي عرضها الباحث ناتجة عن إختلاف النقاد في منطلقاتهم ومرجعياتهم النظرية .

1 - 2 - ج _ عند الغرب:

يعود التأسيس الأول لمصطلح الخطاب لأفلاطون¹ ولكن تحت اسم (المقال)، أما حديثا فقد ارتبط ظهوره وتطوره بنشوء اللسانيات التي أعادته إلى الدرس اللغوي من جديد وإعطائه أبعادا ابستمولوجية جديدة.

يعرف " هاريس " الخطاب على أنه " ملفوظ طويل أو هو متتالية من الجمل تتكون من مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نزل في مجال لساني محض " 2 يلاحظ الباحث أن هذا التعريف يطبعه طابع العموم فقد يدخل النص في هذا التعريف (وهو المفهوم القريب من الخطاب).

أما عند " بنفنست " فهو " كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما " 3 .

يرى الباحث أن هذا التعريف أكثر كفاءة من الأول لأنه استوفى شروط الخطاب وعناصره (متكلم _ ملفوظ _ مستمع) كما نلاحظ أنه يطابق تعريف الكفوي الذي ذكر سابقا.

هذا تعريف اللسانياتيين له، أما " فوكو " فقد أعطى الخطاب أبعادا ابستمولوجية مستقلة ذلك أن رؤيته العميقة المحددة للخطاب وعلاقته بالمجتمع تعد من أهم الموجهات للثقافة الغربية الحديثة، إذ أنه " يقف عند الحدود التي صنعت منذ مطلع القرن السابع عشر عقلاني الحضارة الحديثة " 156 . وقد عرفه قائلا : هو " ممارسات تتكون وبطريقة وبكيفية منسقة للموضوعات التي نتكلم عنها وبطبيعة الحال لا خطابات

¹ المرجع السابق، ص 117.

² سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركب الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1989، ص 17.

³ المرجع نفسه ص 19.

¹⁵⁶ جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ط 1، 1987، ص 432.

بدون إشارات¹⁵⁷ , يشير فوكو - من خلال هذا النص - إلى أن الخطاب يكون منسجما متناسقا فيما بينه وهو بذلك تحكمه إشارات إلى خارج الخطاب أي العلائق الخارجية التي تمنع الخطاب من أن ينغلق عن ذاته .

الشيء المشترك بين هذه التعريفات أن الخطاب ممارسة لغوية أشمل من الجملة لأنه مجموعة جمل مركبة تركيبيا خاصا متفردا , مع تمايز هذه التعريفات في التفريعات والخصائص الأخرى للخطاب .

كما أن هذا التعريف الأخير فتح الباب للسيمائية كي تتناول الخطاب وتمارس عليه تحليلها لأنه يحتوي - حسب فوكو - على إشارات , والإشارات هي المادة الأساس التي تعتمد عليها السيميائية في تشكيل منهجها وموضوعها .

قد عرفه دانيال تشاندرل قائلا بأن الخطاب هو " نظام من التمثيل المعرفي يتكون من منظومة من الشفرات التمثيلية المعرفية ويشتمل كذلك على ذخيرة أو مخزون تفسيري مميز من المفاهيم والتعبيرات المجازية والأساطير) , والخطاب بهذا المعنى يقوم ببناء صور معينة للواقع في إطار المجال الأونطولوجي (أو الموضوع) الذي يختص باهتماماته ويعمل على الحفاظ عليها وهكذا تعكس الشفرات التمثيلية المعرفية المبادئ الترابطية التي يقوم على أساسها النظام الرمزي الخاص بحقل الخطاب "¹⁵⁸ .

من خلال هذا التعريف يرى الباحث أن تشاندرل يربط الخطاب بالواقع من خلال الموضوع الذي يتطرق إليه الخطاب , وينتج شفراته الخاصة تبعا لموضوعه .

2 _ أصول مصطلح الخطاب عند مرتاض :

دخل هذا المصطلح بقوة إلى الكتابات النقدية المعاصرة مع اللسانيات والسيمائية وتحليل الخطاب ووضع حدا بينه وبين مصطلح " النص " مع أن هناك بعض اللغات الأوربية لا تفرق بينهما¹⁵⁹ حيث عرف دومنيك مونقانو الخطاب بأنه " يتكون من وحدة لغوية قوامها سلسلة الجمل "¹⁶⁰ .

¹⁵⁷ ميشيل فوكو , حفريات المعرفة , تر : سالم يفوت , المركز الثقافي العربي , الدار البيضاء , بيروت , 1986 ص 47 .

¹⁵⁸ دانيال تشاندرل , معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات , تر : شاكر عبد الحميد , ص 52 .

¹⁵⁹ رشيد بن مالك , قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص , ص 59

وقد تناول مرتاض هذا المصطلح في كتاباته النقدية ولكن بشكل مقتضب. وقد عاد مرتاض إلى التراث النقدي فوجد عبارة الجاحظ المشهورة " فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير " ¹⁶¹، واعتبر أن مصطلح " النسيج " الذي أطلقه الجاحظ إنما هو مصطلح " الخطاب " حيث قال " والنسيج الذي كان الشيخ يريده فيما نخال هو ما قد نريده اليوم نحن بـ" الخطاب "، واحسب أن هذا المصطلح من أقدم مصطلحات النقد الأدبي في العربية، فلم يقل الشيخ هنا " الדיباجة " ولا " التركيب " فقد تمثل الكلام بُنى، وهذه البنى تتضاف إلى بعضها لتؤلف نسجا له سطح، فالسطح هنا يحمل كل فصائل الخطاب الخارجية أو السطحية، وذلك هو موضوع النقد الحديث في النص الأدبي ¹⁶².

يظهر مرتاض من خلال هذا النص متشككا غير موقن حيث استعمل الكثير من ألفاظ الشك: (أخال- أحسب- قد " قبل فعل المضارع ") فهو يريد إثبات أصالة المصطلح في الثقافة العربية.

ولم يجد مرتاض - حسب اطلاع الباحث - نصا آخرا يتكئ عليه ويثبت أصالة هذا المصطلح عند العرب، وقد اثبت في موضع آخر أن هذا المصطلح عريق في النصوص العربية القديمة تبناه الألسنيون المعاصرون إذ يقول: " الخطاب من المصطلحات اللسانياتية الحديثة التي استعملت في دلالاتها الجديدة عن طريق الترجمة ، على الرغم من وجود اللفظ في اللغة العربية منذ فجر تاريخها والخطاب يعادل (Discours) في الفرنسية و (Discours) في الإنجليزية و (Discours) في الإسبانية ثم لم يلبث هذا المصطلح أو هذا اللفظ العربي الأصيل الذي استحال إلى مصطلح أن تبناه النقد العربي المعاصر ¹⁶³.

وقد تطرق إلى إشكالية تتداخل مصطلح " النص " مع " الخطاب " وقد فرق بينهما (سيعرض هذا التفريق في الفصل الثالث) لكن أشار إلى أن بعض السميائيين لا يفرقون بينهما: " والنص في بعض مفاهيمه لدى السميائيين قد يكون مرادفا للفظ خطاب (Discours) " ¹⁶⁴ وأحال بعد ذلك إلى معجم قريماس وكورتيس، وفي هذا دلالة على استقائه لهذا المفهوم من المصادر الغربية.

¹⁶⁰ دومنيك مونقانو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر، محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2005، ص 35

¹⁶¹ أبو عثمان الجاحظ، الحيوان، ج3، ص 131

¹⁶² عبد الملك مرتاض، بنية الخطاب الشعري، دار الحداثة، لبنان، بيروت، ط1، 1986، ص 15-16.

¹⁶³ عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردية، ص 261.

¹⁶⁴ عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، ص 54.

المبحث الخامس

أصول مصطلح الانزياح

1- تعريف المصطلح :

1-1 لغة:

1-1 أ - عند العرب :

ورد في المعجم الوسيط في مادة (زاح):

"زاح عن المكان زَوْحًا و زَوَاحًا: زال وتتحى و تباعد-و-الشيء زَوْحًا: أبعد. و الإبل و غيرها فرَّقها. (أزاحه): نحاه (انزاح): زال و تباعد (الإزاحة الزاوية) (في علم الرياضة): البُعد الزاوي للمتحرك في أي نقطة كانت"¹⁶⁵

فالمعنى العام هو الابتعاد و التحي .

¹⁶⁵ إبراهيم أنيس وآخرون-المعجم الوسيط-ج1. دار الفكر ص 306

استعملوا بدلاً عنه الانزياح (العدول). المتأني من مادة (عَدَل). فقد ورد في مادة عدل لابن منظور "عدل من الشيء يعدل عدلاً وعدُولاً حاد عن الطريق جار وعدل إليه عدولاً رجع. و ما له معدل و لا معدول أي مصرف" 166.

1- 1_ ب - عند الغرب :

يعرف قاموس لاروس الفرنسي مصطلح "L écart" كآتي: "مسافة أو فرق بين شيئين أو شخصين" 167.

ويعرف مصطلح "Déviation" قائلاً: "عملية الابتعاد عن وجهة عادية طبيعية أو محددة مسبقاً" 168. وقد أدرج الباحث تعريف هذين المصطلحين بالضبط لأن أكثر النقاد العرب اختلفوا في إرجاع مصطلح الانزياح إلى اللغة الفرنسية، هل هو "L écart" أو "Déviation".

1- 1_ ج - استخلاص :

الملاحظ أن التعريف العربي والتعريف الغربي يتفقان على أن الانزياح لغةً هو ابتعاد شيء عن شيء مكانياً.

1 - 2_ اصطلاحاً:

¹⁶⁶ ابن منظور -لسان العرب -ج1.ص706

¹⁶⁷ Le petit Larousse: p355

¹⁶⁸ Le petit Larousse:p 330

1 - 2_ أ_ عند العرب:

لم يعرف النقاد العرب مصطلح (الانزياح) بهذا اللفظ و لكنهم عرفوه بلفظ آخر و هو (العدول) و عدة مصطلحات أخرى لم تشتهر اشتهار العدول و لكنها حملت المعنى المقارب الذي حمله العدول مثل: الغلط و اللحن و التخيّر.

فهذا ابن جنّي يقول في كتابه "الخصائص": "وإنما يقع المجاز و يعدل إليه عن الحقيقة لمعانٍ ثلاثة و هي الاتساع و التوكيد و التشبيه فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة"¹⁶⁹.

فلبن جنّي يربط العدول بقضية الحقيقة و المجاز فالعدول هو الذي ينقل الكلام الحقيقي إلى المجاز فيكون ذلك لأجل: الاتساع أو التوكيد أو التشبيه و قد اقترب ابن جنّي من مفهوم الانزياح المعاصر. الذي سيفصل فيه الباحث في المبحث القادم - فهو الذي ينقل اللغة اليومية الرئيسية إلى اللغة الشعرية. و قد أورد الجرجاني مصطلح (العدول) في قضية ترك طريقة في الصياغة إلى طريقة أخرى أحسن في التعبير عن المعنى وذلك في سياق حديثه عن الإظهار و الإضمار و الدواعي الفنية الموجبة لكليهما. و قد قال تعليقا على قول الشاعر:

و لو شئت أن أبكي دماً لبكيتي * * * عليه و لكن ساحة الصرير أوسع

"فقياس هذا لو كان على حد (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) أن يقول: لو شئت بكيت دماً. و لكنه كأنه ترك تلك الطريقة و عدل إلى هذه لأنها أحسن في هذا الكلام خصوصا و سبب حسنه أنه كأنه بدع عجيب أن يشاء الإنسان أن يبكي دماً فلما كان كذلك كان الأولى أن يصرّح بذكره ليقرره في نفس السامع و يؤنسه به"¹⁷⁰.

أما الزمخشري في تفسيره لـ (لحن القول) فقد قال: "و قيل اللحن أن تلحن بكلامك أي تميل إلى نحو من الأثناء ليفطن له صاحبك كالتعريض و التورية قال:

ولقد لحتن لكم لكيما تفهموا * * * و اللحن يعرضه ذوو الألباب

¹⁶⁹ أبو الفتح عثمان بن جنّي - الخصائص - تح: محمد علي النجار. دار الكتب المصرية. ط. 2. 1957. ج 2. ص 442.

¹⁷⁰ عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز. تح: محمد رشيد رضا. دار المعرفة بيروت 1981 ص ص 126 - 127.

و قيل للمخطئ "لاحن" لأنه يعدل بالكلام عن الصواب¹⁷¹

أدار (أحمد ثمود) و من ذلك :

و ما زلت بها إلا وأرقتني *** صوت الدجاج و ضرب بالنواقيس

و قد غلط الشاعر في قوله صوت الدجاج - وهو يقصد الديوك - لأن الدجاج لا يصيح¹⁷².

و هناك مصطلح آخر استعمله عبد القاهر الجرجاني كمرادف للعدول ألا وهو (التخيّر) و" الذي قلنا من قبل إنه يعني العدول عن معنى من معاني النحو إلى معنى آخر لأداء دلالة لا يعطيها المعنى الأول".¹⁷³

تأسيساً على ما تقدم نلاحظ أن مصطلح الانزياح لم يرد في الثقافة العربية القديمة بهذا اللفظ و إنما ورد تحت مصطلحات أخرى متعددة .و هذا التعدد الذي يعاني منه مصطلح الانزياح (المعاصر) متأصل منذ القديم إذ لاحظنا بعد هذا العرض أن نقاد العرب قد استعملوا أربعة مصطلحات (العدول - اللحن - الخطأ - التخيّر) و يلاحظ الباحث كذلك سطحية مفهوم هذا المصطلح في النقد العربي القديم لأنه لا يتعمق في طرح أنواع هذا الانزياح و مستوياته كما أنه يتعلق بالمجال النحوي كثيراً و كذلك في البلاغة فالانزياح قد أخذ له شكلاً موسعاً عند العرب المحدثين مع المحافظة على المعنى الأصلي له و هو "المخالفة". فهذا "بهنسي" يعرفه قائلاً هو "مجاوزه السنن المألوف بين الناس في محاورتهم و ضروب معاملتهم لتحقيق سمة جمالية في القول تمتع القارئ و تطرب السامع و بها يصير نصّاً أدبياً".¹⁷⁴

1 - 2_ ب_ عند الغرب :

عرفت اللغة الفرنسية كلمة (Ecart) في القرن 12م و هو مشتق من الكلمة اللاتينية (Exquartare) بمعنى الفسخ أو التقطيع أو التقسيم على أربعة , أو حتى الطريق المتفرع إلى أربعة اتجاهات ...أما

¹⁷¹ الزمخشري .الكشاف .دار المعرفة .بيروت.(د.ت)ج3 ص 459.

¹⁷² عبد الحكيم راضي -نظرية اللغة في النقد العربي- مكتبة الخانجي .القاهرة 1980 -ص 203.

¹⁷³ شفيق السيد - الاتجاه الأسلوبي في النقد العربي - دار الفكر العربي - القاهرة 1986 ص 35.

¹⁷⁴ عبد الموجود متولي بهنسي -رؤية في العدول عن النمطية في التعبير الأدبي, ط1 1993..ص05

الكلمة المشتركة (Déviation) التي لم تعرفها الفرنسية إلا في القرن 15م فإنها مشتقة من الكلمة اللاتينية المتأخرة (Dviatio) بمعنى الانحراف عن الطريق.¹⁷⁵

أما عن تعريف مصطلح الانزياح فإن هناك بعض النقاد الغربيين لا يفرقون بينه وبين "الأسلوب" كثيراً، والدليل على ذلك قول جون كوهن عن الأسلوب: "هو كل ما ليس شائعاً و لا عادياً و لا مطابقاً للمعيار المؤلف... إنه انزياح بالنسبة إلى معيار أي أنه خطأ و لكنه خطأ مقصود".¹⁷⁶

و من هذا المنطلق ظهرت إشكالية اللغة المعيارية /المؤلف فاختلف النقاد في تعريف اللغة المعيارية أو اللغة اليومية(العادية) المستهلكة التي لا توحى بأي جمالية جلّ أمرها أنها تسعى إلى تبليغ رسالة ما و فقط أما لغة الشعر فبفضل الانزياح تنتقل من اللغة اليومية إلى لغة شعرية تحوي جمالاً في ذاتها، الأمر الذي جرّ "كابانس جان لوي" إلى القول "أن مفهوم الانزياح مفهوم معقد متغير"¹⁷⁷. لأن تحديد اللغة المعيارية (أو اللغة الصفر) صعب جداً. أمّا شارل بالي فقد أعطاه تعريفاً لسانياً قائلاً أنه "يقع من الكلام على محور اختياره، إذ يحدد الحدث الأسلوبي عنده بالغياب و ذلك بإحلال ظاهرة لغوية عاطفية محل أخرى عقلية منطقية من دون إخلال بالمعنى".¹⁷⁸

كما أن جون كوهن جمع بين مصطلح الانزياح ومصطلح الانحراف (Déviation) و كذلك الانعطاف (Détour) و المخالفة (Infraction) و الحذف¹⁷⁹. الأمر الذي ساهم في الإكثار من عدد مرادفات هذا المصطلح. والذي سوف ينعكس على الخطاب العربي سلباً باستقباله بالكثير من المصطلحات.

¹⁷⁵ يوسف و غليسي-إشكالية المصطلح-ص205.

¹⁷⁶ جون كوهين -بنية اللغة الشعرية- تر: محمد الوالي، محمد العمري.ص15.

¹⁷⁷ كابانس جان لوي، النقد الأدبي والعلوم الإنسانية. تر: فهد عكام، دار الفكر، دمشق، ط1-1982، ص109.

¹⁷⁸ Chareles bally:traite de stylistique francaise .3eme edition .vi 1951.p51

نقلًا عن مولاي علي بوخاتم -مصطلحات النقد العربي السيميائي (الإشكالية و الأصل و الامتداد)(كتاب مرقون) منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق 2005، ص 273.

¹⁷⁹ - مولاي علي بوخاتم ، مصطلحات النقد السيميائي ، ص 273.

2 _ أصول مصطلح الانزياح عند مرتاض:

نقل هذا المصطلح إلى الثقافة العربية بما يقارب الأربعين مصطلحاً أو يزيد... وذلك لأن هذا التعدد في النقل ناتج عن تعدده في الثقافة الغربية المنتجة له¹⁸⁰، فسمي:

المصطلح	المؤلف والكتاب
الانحراف ¹⁸¹	شكري عياد -مدخل إلى علم الأسلوب
و العدول ¹⁸²	التهامي الراجي الهاشمي -معجم الدلائلية
و الفارق ¹⁸³	مبارك مبارك - معجم المصطلحات الألسنية
والبعد ¹⁸⁴	محمد بنيس - ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب
الاتساع ¹⁸⁵	توفيق الزيدي ،أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث

و قد ورد مصطلح الانزياح في كتابات مرتاض بصورة محتشمة فلم يعره - مرتاض - كبير أهميه , وقد عاد به مرتاض إلى التراث العربي و بالتحديد إلى سبويه الذي تحدث عن النسيج اللغوي الذي يكون مستقيماً كذبا ك(حملت الجبل - شربت ماء البحر)¹⁸⁶

¹⁸⁰ يوسف و غليسي - إشكالية المصطلح .ص204.

¹⁸¹ شكري عياد -مدخل إلى علم الأسلوب - دار العلوم -الرياض 1982 ص36.

¹⁸² التهامي الراجي الهاشمي -معجم الدلائلية ،ص165.

¹⁸³ مبارك مبارك - معجم المصطلحات الألسنية ،دار الفكر اللبناني ، بيروت1995،ص12.

¹⁸⁴ محمد بنيس - ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب ، ط1 ، دار العودة ،بيروت ، 1979،ص517.

¹⁸⁵ توفيق الزيدي ،أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، دار العربية للكتاب ،تونس،ليبيا ،1984،ص86.

¹⁸⁶ سبويه ،الكتاب،ج1 ، ص 74

فعلّق مرتاض على هذا الكلام قائلاً: "...فليس مثل هذا الحديث عن النسيج اللغوي و الكتابة الأدبية إلاّ حديثاً مبكراً عن السيمائيات الأدبية القائمة على الانزياح الأسلوبي" ¹⁸⁷.

فمن خلال هذا القول أراد مرتاض أن يربط مصطلح الانزياح بالثقافة العربية وإن لم يتواجد هذا المفهوم بهذا المصطلح.

أما عندما قال عبد الله بن المعتز العباسي هذا البيت في مرثيته:

هذا أبو العباس في نعشه * * * قوموا فانظروا كيف تسير الجبال

علّق مرتاض شاكراً له وصوله بمرثيته " إلى درجة الانزياح في استعمال معنى الجبل

و الانتقال به من المعنى المعجمي السائر إلى معنى انزياحي خاص ¹⁸⁸

و لم يكتف بسبويه و عبد الله بن المعتز بل ذهب أيضا إلى ابن جني و الجرجاني ¹⁸⁹.

و قد حاول مرتاض أن يلحق مصطلح الانزياح بما يسمى في البلاغة بالمجاز العقلي أو حتى المجاز المرسل، لكن تحليله إياه - كما يقول - : " يختلف عن إجراءات البلاغيين تبعاً لما نودّ أن نشحنه به من علاقة دلالية أسلوبية جديدة ، إذ لا ينبغي أن ينصرف مفهوم الانزياح الذي هو ابن السيمائية إلى مجرد التشكيل النسجي وحده ، وإنما يجب أن ينصرف ، في تمثنا نحن على الأقل ، إلى تشكيل المعنى بإخراج النسيج الأسلوبي للنص الأدبي من الابتدالية والتقريرية الرتيبتين إلى تشكيل متوتر جديد ¹⁹⁰.

من خلال هذا النص نستنتج أن مرتاضاً يقرّ بوجود الانزياح في النقد ال عربي القديم لكن على شكل مجاز عقلي أو مرسل ، ولكنه يقرّ كذلك بوجود الانزياح المعاصر الذي يختلف عن القديم (الانزياح القديم) و ذلك في قوله (أن نشحنه به علاقة دلالية أسلوبية جديدة) .

¹⁸⁷ عبد الملك مرتاض - نظرية النص الأدبي ، ص 172.

¹⁸⁸ المرجع السابق ، ص 173.

¹⁸⁹ المرجع نفسه ، ص 176 ، 177.

¹⁹⁰ المرجع نفسه ، ص 174.

و الملاحظ أن مرتاض - حسب اطلاع الباحث - لم يعتمد على النقد الغربي المعاصر في فهم هذا المصطلح و تطبيقه في دراسته.

الفصل الثالث:

توظيف المصطلح السيميائي عند مرتاض

المبحث الأول :

مصطلح السيميائية

يحاول مرتاض التأصيل اللغوي لهذا المصطلح فينطلق من كلمة (سمة) ، قائلا: " إن أصل السمة في اللغة العربية آت من الوسم (و س م) وليس من التسويم (س و م) الذي هو نفسه يعني ما يعنيه في الحقيقة تركيب "الوسم" وهو إحداث تأثير أو عَلم بكيّ أو وشم أو قطع أو نحوه " ¹⁹¹ , ويشير كذلك إلى مصطلح العلامة الذي هو من مادة (ع ل م) ويعتبره قريبا من مادة (و س م) دون أن يطابقه و " لعله يكون آتيا من العلامة والعلم بمعنى الجبل " ¹⁹².

ويختار مرتاض مقابلة المصطلح الأجنبي (sign- signe) ب: " السمة "دون غيره من المصطلحات ك: "الدليل" وقد استدل على ذلك ببعض الحجج: ¹⁹³

أ - أن العلامة قد استعملت في الفكر النحوي القديم بمعنى لاحقة تلحق فعلا من الأفعال أو اسما من الأسماء دون الحروف ... ولعل اصطناع ذلك المصطلح النحوي في أصله في المفاهيم السيميائية على عهدنا هذا قد يزيد هذا الأمر اضطرابا والتباسا.

ب - "يبدو لنا ولو من باب الحاسة الذوقية فقط من خلال تلقي المعنى المتولد عن اصطناع "السمة" أنه أدنى ما يكون إلى ما يطلق عليه السيميائيون الغربيون مصطلح (sign) من مصطلح " العلامة " الذي ربما انصرف إلى المعنى المادي فتمخض له".

ج - "إن اطلاق السمة على مفهوم (signe) عوضا عن مصطلح العلامة -ولنكرر - سيحل لنا مشكلة أخرى من مشكلات المصطلح وهي أننا حين نمحض مصطلح " العلامة" لمفهوم آخر قريب منه وهو ما يطلق عليه (la marque) .

أما عن مصطلح السيميائية أو السيميولوجيا فإن مرتاضا يفضل عليهما مصطلحا آخر اشتقه بنفسه وهو : سيميائية . ويساويه ب (السيموية) عندما قال : " فمن الناحية اللغوية الخالصة يمكن أن نقول :

¹⁹¹ - عبد الملك مرتاض - نظرية النص الأدبي - ص 147.

¹⁹² -المرجع نفسه - ص ن نقلا عن الجوهري - الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية دار الكتاب العربي - القاهرة , 1956 مادة وسم .

¹⁹³ - المرجع نفسه صص 148-149.

السيموية كما يمكن أن نقول السيمائية " 194 وقد اعتبر أن النطق بـ "السيمائية" نطق خاطئ وذلك لأن الذين ينطقونها اختصارا يلحنون " بالجمع بين ساكنين وذلك لطول اللفظ الذي يجعل الحنجره تكابد في تقطيعه حتى يتقطع نفسها فيقع المحذور". 195

أما عن تعريف وفهم مرتاض لهذا المصطلح فنجده يوجز في تعريفه إذ هي : " نظام السمة " 196 أو هي " شبكة من العلاقات المنتظمة بتسلسل " 197 وقد أسند هذا التعريف لـ: غريماس . كما يرى أن السيمائية ليست لسانيات متطورة تتسلط على اللغة والخطاب والنص. والدليل على ذلك قوله : " إن المتتبع لمصطلحاتها (يقصد السيمائية) ودلالة هذه المصطلحات يستخلص منها أنها ليست لسانيات متطورة تحاول أن تكون كلية النظرة , شمولية النزعة بحيث يتسلط على كل ما هو لغة أو خطاب وسمة ونص , ودلالة, و تركيب وتأويلية " 198.

ونرى أن مرتاضا أراد بهذا الكلام أن يفرق بين السيمائية واللسانيات فالاهتمامات مختلفة مما يضمن استقلال السيمائية بموضوعها عن اللسانيات .

وقد قال مرتاض إن السيمائية حاولت تطوير المفاهيم السالفة الذكر و"تطويعها لا تجاهلها فأضفت عليها معاني جديدة لم تك فيها من قبل ونلاحظ أن كثيرا من هذه المفاهيم تتنازعها الألسنية (اللسانيات) والسيمائية والتشريحية نفسها " 199 ,ومن خلال هذه العبارة نستنتج أن السيمائية وإن لم تولد كل المصطلحات إلا أنها لم تبق بعض المصطلحات على حمولتها المعرفية القديمة بل أضافت وعدلت فيها وصبغتها بصبغتها الخاصة .

وقد أقر مرتاض بفضل جهود "بورس" و"دي سوسير" على السيمائية التي اتخذت شكل المشروع العلمي بفضلها وهي اليوم تتطلع " إلى تبني نفسها بما هي علم للمعاني , إنها منهجية العلوم التي تعالج

194 - المرجع السابق ص 157.

195 - المرجع نفسه ص 158.

196 - عبد الملك مرتاض - دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد - ص 21.

197 - المرجع نفسه ص ن .

198 - المرجع نفسه ص ن.

199 - المرجع نفسه ص ن.

الأنساق الدالة أي العلوم الإنسانية حيث إنها تعد الممارسات الاجتماعية /التاريخية التي تشكل موضوع هذه العلوم (الأسطورة ,الدين ,الأدب إلخ) على أنها أنساق للسمات ²⁰⁰ ,ونمثل للممارسات الاجتماعية ب : الموضة في اللباس , فطريقة لباس شخص ما لها دلالة سيميائية على شخصيته وعلى مكانته في المجتمع فموضة لباس الشباب مثلا تختلف عن موضة لباس الأطفال والشيوخ لأن السمة التي يحملها الشباب تختلف كثيرا عن سمة الكبار والأطفال .

ويرى مرتاض أن هناك فروقا بين السيميولوجيا والسيموتيكيا وكذلك هناك أوجه تشابه. الأمر الذي لا يستفيق له كثير من النقاد, وقد حصرها بوخاتم في ست نقاط : ²⁰¹

- 1 كلاهما يبتدئ بالسابقة SEMIO وهو آت من اللغة الإغريقية SEMION وتعني السمة SIGNE ثم يفترقان في كون أحدهما ينتهي باللاحقة LOGIE التي أصلها LOGOS وتعني الخطاب على حين أن الآخر ينتهي بالمقطع TIQUE الذي يعني النسبة الديالكتيكية .
- 2 إنهما اسمان بُنيا على أصل الوضع الإغريقي لمسمى واحد فيه تسوية مفهومية ذهب إليها غريماس حين سألته جريدة العالم الباريسية عام أربع وسبعين من القرن العشرين
- 3 كأن السيموتيكيا تعالج خصوصيات الحقل وهي بمثابة اللغة من اللسان أو الفرع من الأصل .
- 4 ترتبط السيموتيكيا أساسا بالثقافة الأنجلوسكسونية (لوك - بورس خصوصا) بينما يرتبط مفهوم السيميولوجيا بالثقافة الفرنسية (غريماس - بارط) على الرغم من أن غريماس عنون معجمه السيميائي ب: السيموتيكيا .
- 5 إن مصطلح السيموتيكيا أقدم وجودا وأعرق ميلادا 1555م من مصطلح السيميولوجيا الذي لم يتداوله دي سوسير إلا زهاء سنة 1910م.
- 6 إن مفهوم السيميولوجيا يرتبط أساسا بعلم اللغة , باللسانيات بينما يرتبط مفهوم السيموتيكيا بالفلسفة والمنطق.

وسيعرض الباحث نصوصا مختلفة من كتب مرتاض لبيّن التطور الذي جرى لمصطلح السيميائية على يد مرتاض وسيقوم بتحليل هذه النصوص واستخلاص نتائج تتلائم وطبيعة البحث :

²⁰⁰ - المرجع السابق ص159 .

²⁰¹ - مولاي علي بوخاتم - الدرس السيميائي المغربي - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر 2005 ص ص : 127-128 .

أ- يقول مرتاض في كتابه (النص الأدبي من أين وإلى أين) : " لقد نعلم أن السيميوتيكية SEMIOTIQUE أو "العلامية" كما يطلق عليها عبد السلام المسدي هي علم نظم الإشارات ونحن نفضل الإشارية على العلامية لأن بعض القدامى العرب كان اصطنع هذا المفهوم الألسني لهذا المعنى أو لمعنى قريب منه " .²⁰²

ب- في نفس الكتاب يقول : "إن النظرية المعاصرة لنظم الإشارات (أي للسيميوتيكية) تمتلك مفهوما ناضجا كل النضج للتبليغ " .²⁰³

من خلال العبارتين - أ- ب- نلاحظ أن مرتاضا استعمل أول ما استعمل مصطلح السيميوتيكية كمقابل للمصطلح الأجنبي la sémiotique وجعل مصطلح نظم الإشارات مرادفا له . وذهب إلى تفضيل مصطلح الإشارية على العلامية لا خطأ ابستمولوجي أو اصطلاحي في مصطلح " العلامية " بل لأن الإشارية أستعملت في النقد العربي القديم فقط فهي بهذا أقرب للتراث .

ج- لديه كتاب عنوانه : " أ. ي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد" يستعمل فيه مصطلح (السيميائية) ومشتقاتها : سيميائيون- سيميائي - ..²⁰⁴

تأسيسا على هذا نستنتج أن مرتاضا عدل عن مصطلح سميوتيكية إلى سيميائية وذلك بعد فترة من الزمن لأن تأليفه لكتاب " أي" كان بعد كتاب " النص الأدبي من أين وإلى أين " .

د- في كتبه : في نظرية الرواية (1998) - التحليل السيميائي للخطاب الشعري (2001) - نظرية النص الأدبي (2007) يستعمل مرتاض مصطلح سيميائية ومشتقاتها .²⁰⁵

²⁰² عبد الملك مرتاض - النص الأدبي من أين وإلى أين - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر 1983 . ص 21.

²⁰³ - المرجع نفسه ص ن .

²⁰⁴ - عبد الملك مرتاض - أ.ي - ص ص : 15-19-21-22-55-80-93-101. (قد انتهى مرتاض من تأليف هذا الكتاب سنة 1987 وطبع سنة 1992).

²⁰⁵ - عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية ص ص: 60-107-112-113-114-115-248-

التحليل السيميائي : ص ص : 07-08-09-11-12-13-14-15-17-18-19-21-22-23-24-...

نظرية النص الأدبي : ص ص: 17-53-54-55-56-79-80-84..

من خلال هذا نلاحظ أن مرتاضا عدل عن مصطلح "سيمائية" إلى مصطلح "سيمائية" وعلق على مصطلح " السيمائية " الذي كان يستخدمه بأنه طويل و " وهو الذي تعنت بها حبال الحنجرة في النطق " 206 .

إذن يستطيع الباحث القول أن مرتاضا تطور من التعريب (السميوتيكية) إلى الترجمة (السيمائية) إلى تصحيح الترجمة بما يوافق النطق العربي الأصيل (السيمائية) .

وقد أحصى له الدكتور يوسف وغليسي أكثر من مصطلح كان قد استعمله في كتبه المختلفة :²⁰⁷

المصطلح	المرجع
السميوتيكيا	تجليات الحداثة - ع2 - 1993
السميوتيكية - الإشارية	النص الأدبي من أين وإلى أين
السيمائيات	نظرية النص الأدبي

ويجب الباحث أن ينبه إلى شيء آخر هنا وهو أن مرتاضا يفرق بين "السيمائية" و " السيمائيات " آخذاً ذلك من يلمسليف كما أقر هو قائلاً : " يقترح هجيمسليف حسب قريماس أن ينصرف مصطلح السيمائية sémiologie "... إلى النظرية وينصرف مصطلح السيمائيات بالجمع sémiotiques إلى التطبيقات أو القراءة السيمائية وهي سيرة يمكن إتباعها للتمييز بين المصطلحين الاتنين المتداخلين في رأي المترادفين في رأي آخر " ²⁰⁸ . ولكن مع هذه الدقة العلمية والاحترافية في أخذ مرتاض مصطلحاته من

²⁰⁶ - عبد الملك مرتاض - نظرية النص الأدبي - ص 157 .

²⁰⁷ - يوسف وغليسي - إشكالية المصطلح ص ص : 209-232 .

²⁰⁸ عبد الملك مرتاض - نظرية القراءة - ص 32-33 .

النقد الغربي نجده استعمل مصطلح (السيميائية) ومشتقاته بعد أن أنكره في هذا الكتاب بالذات وذلك في مواضع عدة ؟!!²⁰⁹

ويؤه الباحث كذلك بلقن لدى مرتاض كتاب عنوانه (تحليل الخطاب السردى - معالجة تفكيكية سيميائية لرواية زقاق المدق) الصادر سنة 1995 من خلال العنوان يلاحظ أن مرتاضا استعمل مصطلحه الأخير (سيميائية) لكن داخل الكتاب استعمل :

- 1 - " ... أم يجب أن تتضافر هذه المناهج كلها مضاف إليها السيميولوجية والتفكيكية من أجل محاولة فك الألغاز " .²¹⁰
 - 2 - " وإذن فإن عدلنا عن البنية التكوينية وآثرنا ببنوية مطعمة بتيارات حدائية أخراة وخصوصا السيميولوجيا " .²¹¹
 - 3 - " ... سيميولوجيا الألوان / الروائح / الأصوات / النظر وملامح الوجه / الإشارات / البنية الدينية .. " .²¹²
 - 4 - " وللتسمية في التراث العربي سيميائيات تحدث عنها أبو عثمان الجاحظ في غير موضع من كتاباته " .²¹³
 - 5 - " حتى أنني أزمع أن السيميائية في حقيقتها وريثة اللسانيات البنوية مقدمة في تقليعة جديدة " ²¹⁴ . وأكثر من استعمال هذا المصطلح في سائر كتابه ²¹⁵ .
- ولم يعثر الباحث على مصطلح (سيميائية) ولو مرة واحدة كما هو ظاهر في عنوان الكتاب !

²⁰⁹ المرجع السابق ص ص : 149-150-158-161-162-163-164 .

²¹⁰ - عبد الملك مرتاض - تحليل الخطاب السردى - معالجة تفكيكية سيميائية لرواية زقاق المدق - ص 03 .

²¹¹ - المرجع نفسه ص 18 .

²¹² - المرجع نفسه ص 24 .

²¹³ - المرجع نفسه ص 128 .

²¹⁴ - المرجع نفسه ص 08 .

²¹⁵ - المرجع نفسه ص ص : 07/11/13/14/15/17/128/129/137/264/269/277/280/281/282/284/285/289 .

تطور مصطلح "السيمائية" عند مرتاض

<u>المصطلح</u>	<u>المرجع</u>
سيميوتيكية الإشارية	النص الأدبي من أين وإلى أين
سيمائية	أ.ي . / تحليل الخطاب السردي/
سميولوجية	مقال " بين السمة والسيمائية "
السميوتيكيا	تجليات الحداثة ع 02 1993
السيمائيات	نظرية النص الأدبي/ نظرية القراءة.
السيمائية	نظرية النص الأدبي / التحليل السيمائي للخطاب الشعري / في نظرية الرواية / عنوان كتابه : تحليل الخطاب السردي .

المبحث الثاني

مصطلح الشعرية

عاد عبد الملك مرتاض - خلال طرحه لهذا المصطلح - إلى التراث النقدي العربي القديم ليستخرج لنا أصل المسألة المتطرق لها ، فقد تعرض لمقولة الجاحظ المشهورة (المعاني مطروحة في الطريق ...) و أقر بأنها بعض هذه الأدبية و لكن في ثوب جديد و ذهب إلى القول بأن البلاغيين

العرب القدامى أعنتوا أنفسهم في " التماس هذه الأدبية في مظاهر مختلفة و لاسيما تحت ما كانوا يطلقون عليه (البيان) ²¹⁶ و أضاف إلى ذلك مصطلح الأمدي و هو (الديباجة) .

و قد وضع مرتاض تعريفا لمصطلح الأدبية عندما قال :

" أننا نفهم من الأدبية جوهر الأدب ، و الجوهر هنا ليس بالمعنى الفلسفي للأشياء ، و إنما يعنى ببساطة أجمل ما في الأدب ، و أصدق ما في عاطفته ، و أدفاً ما في جوه ، و أروع ما في نسجه " ²¹⁷

يلاحظ الباحث أن هذا التعريف يفتقد للصرامة العلمية - التي تعودناها عند مرتاض - ، ويميل إلى

الإنشاء .

وقد فرق مرتاض في تعريفه للأدبية بين القارئ العادي والقارئ المحترف فهما ليسا سيان عنده ، يقول :

" إنها بالقياس إلى القارئ العادي مجرد تلقي شعور ما بالجمال يمتع النفس و يغذي القلب أما بالقياس إلى القارئ المحترف (الناقد) ، فإنه يبحث في عناصر مشكلاتها ، و مكونات التأثير فيها ، ثم مكونات التأثير فيها من بعد ذلك " ²¹⁸.

فمن خلال هذين التعريفين يلاحظ الباحث أن القارئ العادي (وهو حسب فهم الباحث كل قارئ للأدب دون أن يصل إلى درجة الناقد) يحس بالأدبية دون أن يبحث في حقيقتها و لا كيف دخلت النص أو العناصر التي أوجدتها ، أما القارئ المحترف/الناقد فهو الذي يبحث في العناصر التي أطلقت هذه الأدبية و كيف أطلقت و كيف أثرت في النص ، كما أن مرتاضا ينفي أن تكون أدبية الأدب مجرد شيء نلمحه في النص ثم عند بحثنا عنه لا نجد شيئا ، فالأدبية ليست كائنا وهما .

هذا عن المفهوم ، أما عن قضية الاصطلاح فقد لاحظ الباحث تطورا في استعمال المصطلح

المناسب لهذا المفهوم و اختلافا :

²¹⁶ عبد الملك مرتاض - (أ . ي) ص 17 .

²¹⁷ المرجع نفسه ص 16 .

²¹⁸ المرجع نفسه ص 17 .

- 1- في كتابه (النص الأدبي من أين؟ و إلى أين) الذي ألفه سنة 1983 يقول : " اسم (La Poétique) هو مصطلح أسني جديد لم تجد له العربية بعد مقابلا مقبولا ، إن ترجمته بالإنشائية أو الشعرية لا يعني كبير شيء ف " البويتيك " عند جاكوبسن هو وظيفة اللغة ال فنية للكتابة أو (Le langage) التي بواسطتها يمكن أن تكون رسالة عملا فنيا على الرغم من أن البويتيك لا يقتصر على دراسة مشاكل اللغة الفنية للكتابة و إنما يجاوز هذا المجال الضيق إلى نظرية الإشارات²¹⁹
- 2- في كتابه (أ. ي) الذي ألفه سنة 1987 م . يقول :

" ... انعدام هذا الشيء الذي كان القدامى يطلقون عليه الماء الشعري ، و قد نطلق عليه نحن المعاصرين : أدبية الشعر - أو البويتيك أو الإنشائية أو الشعرية (Poétique) لم يعد النص شعرا و لو توافرت له كل الأصوات الجميلة و الإيقاعات السخية " ²²⁰ بالمقارنة بين العبارتين نخلص إلى أن مرتاضا قد تخطى عن التعريب (البويتيك) إلى الترجمة (الشعرية) .

3- يقول مرتاض في كتابه (النص الأدبي من أين؟ و إلى أين؟) :

" و نحن نحسب أن كثيرا من الآثار الشعرية التي تتدرج تقليديا تحت هذا العنوان ليس لها من الشعرية و الشعرية هنا ليست بمعنى " البويتيك " و إنما هي بمعنى اشتمالها على روح الشعر و معاييره التقليدية (" ²²¹ .

من هذا النص يستطيع الباحث أن يقول بأن الشعرية - حسب مرتاض - لا تطابق (البويتيك) تماما .

و لننظر إلى النص التالي :

4- يقول مرتاض " لم نجد فرقا كبيرا بين الشعر الفني و النثر الفني اللذين يجب أن يتعانقا ليشكلوا رافدا أدبيا واحدا هو الشعرية أو البويتيك " ²²² .

²¹⁹ عبد الملك مرتاض - النص الأدبي من أين؟ و إلى أين - ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1983 ص 26 / 27.

²²⁰ عبد الملك مرتاض - (أ. ي) ص 146.

²²¹ عبد الملك مرتاض - النص الأدبي من أين؟ و إلى أين؟ . ص 27.

من خلال هذه المقولة ولاحظ الباحث - حسب مرتاض - أن لا فرق بين (الشعرية) و (البوتيكاً) في حين أن مرتاضاً كان يفرق بينهما في النص الذي قبله.

5- يطابق مرتاض بين مصطلح (الماء الشعري) و مصطلح (الأدبية) حينما قال :
فالناظم قد ينظم أرجوزة ذات إيقاع ، و يكون بدون ماء شعري أي بدون أدبية²²³.
ونحن نعلم أن مصطلح (الماء الشعري) قديم أتى به الجاحظ²²⁴.

6- يقول مرتاض : " فقد يصادفنا كثير من الشعر الذي لا يحمل من الشعرية أي صفة من صفات الأدبية²²⁵ .

7- يقول كذلك : " ثم كأين من نثر استطاع أن يسمو عن نثره و يتعلق بالشعرية أي يشرب إلى ما كان من أجله أصلاً و هو أدبيته التي يجب أن تميزه تمييزاً²²⁶ .

بالمقارنة بين القولين السابقين نجد أن مرتاضاً يجعل الشعرية جزءاً من الأدبية في العبارة (6) ، و يطابق بين الشعرية والأدبية في العبارة (7) . و نضيف إلى هذا عبارة أخرى تؤكد هذا الأمر هي :
لكن الذي يعيننا هنا و الآن هو النص الأدبي الخالص الأدبية و الأدبي هنا في تمثلنا ممتد إلى الشعري شامل له معادل لمعناه²²⁷ .

8- يسوي مرتاض بين العديد من المصطلحات لترجمة أو لتعريب مصطلح غربي واحد هو (Poétique) في قوله : " انعدام هذا الشيء الذي كان القدامى يطلقون عليه الماء الشعري و قد نطلق عليه نحن المعاصرين : "أدبية الشعر" أو "البوتيك" أو "الإنشائية" أو "الشعرية" (Poétique)²²⁸ .

²²² عبد الملك مرتاض - (أ. ي) . ص 06.

²²³ المرجع نفسه ص 62.

²²⁴ الجاحظ - الحيوان - دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان 1969 ، ج3 ، ص331 .

²²⁵ المرجع نفسه ص : 96 .

²²⁶ المرجع نفسه ص 145 .

²²⁷ عبد الملك مرتاض - السبع المعلمات (مقارنة سميائية أنثروبولوجية لنصوصها) . من منشورات اتحاد الكتاب العرب . 1998 ص 05.

²²⁸ عبد الملك مرتاض - (أ. ي) ص : 146.

الآخر (يقصد الشعرية) إلى الصفة أو الحالة التي تميز كتابة ما ، فهذا المعنى كأنه يقترب من معنى الأدبية Litteralité «²³³».

و قد علق الدكتور يوسف و غليسي على هذا المصطلح بعد أن أصل له في اللغة العربية قائلاً : " إنما عيب الشعرانية أن المعيار التداولي (الذي قد نحتكم إليه في ترشيح مصطلح ما أو استبعاده) لا يقرها بحكم غرابتها لدى المتلقي و محدودية استعمالها وندرة رواجها حتى إن صاحبها نفسه قد تنازل عنها في كتبه الأخيرة «²³⁴».

وقد وجد الباحث أن مرتاضاً في كتاب واحد و هو (في نظرية الرواية) يقابل Poétique بمصطلحين عربيين :

"... و المشبع بالذاتية الضيقة ، هي في حقيقة أمرها شكل مناف للشعرانية (Poétique) «²³⁵» .

و يقول في موضع آخر : " ذلك أن الحديث عن الأسلوب و الأدبية ، و الشعريات (Poétique) و النص و ... " «²³⁶» .

11/- فرّق مرتاض في كتاباته الأخيرة بين "الشعريات" و "الشعرية" حيث اقترح أن يطلق " مقابلاً لمفهوم la poétique باللغة العربية " الشعريات " وذلك كي يميز بين " الشعرية " التي تعني المواصفات التي نلتمسها في نص شعري la poeticite وبين الشعريات التي هي نشاط نقدي يسعى إلى فهم وظيفة الكتابة الشعرية ، وقد قسنا الشعريات على اللسانيات «²³⁷» .

12/- يقول مرتاض : " اسم (La Poétique) هو مصطلح ألسني جديد لم تجد له العربية بعد معادلاً مقبولاً ، إن ترجمته بالإنشائية أو الشعرية لا يعني كبير شيء ف" البويتيك " عند جاكوبسن هو وظيفة اللغة الفنية للكتابة أو (Le laugage) التي بواسطتها يمكن أن تكون الرسالة عملاً فنياً على الرغم من أن

²³³ عبد الملك مرتاض - في نظرية الرواية ص 312.

²³⁴ يوسف و غليسي - إشكالية المصطلح . ص 300.

²³⁵ عبد الملك مرتاض - في نظرية الرواية ص : 95.

²³⁶ المرجع نفسه . ص 249.

²³⁷ عبد الملك مرتاض - نظرية القراءة ص 170 (في الهامش).

البويتيك لا يقتصر على دراسة مشاكل اللغة الفنية للكتابة وإنما يجاوز هذا المجال الضيق إلى نظرية الإشارات²³⁸.

هذا النص من كتابه (النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟) الذي ألفه سنة 1983 و هو يقابل La Poétique ب البويتيك أي يعتمد على التعريب . أما في كتابه (نظرية النص الأدبي) الذي طبع سنة (2007) فإنه أعاد هذا النص فيه و لكن بتغيير مصطلح البويتيك :

"... إن هؤلاء النقاد العرب المعاصرين لم يوفقوا في منظورنا نحن على الأقل ، إلى العثور على مقابل ملائم لهذا المفهوم النقدي السيميائي الغربي ، إذ ترجمته ب " الإنشائية " أو " الشعرية " لا يعني كبير شيء و تعني (الشعريات) عند رومان ياكوبسن وظيفه اللغة الأدبية للكتابة التي بواسطتها يمكن أن ترقى رسالة ما (Message) إلى مستوى عمل فني، ذلك على الرغم من أن الشعريات لا تقتصر على دراسة مشاكل اللغة الأدبية و لكنها تجاوز هذا الحقل الضيق إلى نظرية الأدب²³⁹.

بعد مقارنة هذا النص بسابقه يتبين أن مرتاضا قد عدل عن مصطلح (البويتيك) إلى مصطلح (الشعريات) و نقل مجال اشتغال البويتيك من نظرية الإشارات (في اعتقاد الباحث هي السيميائية) إلى نظرية الأدب بعامة .

و هذا التنقل و العدول عن بعض المصطلحات إلى مصطلحات أخرى جر الناقد مولاي علي بوخاتم إلى نقده قائلا : .. بيد أن الاضطراب يبدأ في صياغة عبد الملك مرتاض حين نلفيه يقول مصطلح الشعرية مقابلا لفظ (Poétécité) كمفهوم يختص بجمالية الشعر ثم الشعرانية مقابلا للمصطلح (Poétique) الذي ينصرف إلى نظرية الشعرية²⁴⁰.

بل يزيد على ذلك تعليقا عندما قابل (Poétique) بصيغة الجمع (الشعريات) " فيشاكل بين مصطلحات مختلفة (الشعرية - الشعرانية - الشعريات) و في اعتقادنا أن البون شاسع بين (La

²³⁸ عبد الملك مرتاض - النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟ ص 26,27.

²³⁹ عبد الملك مرتاض - نظرية النص الأدبي ص 94.

²⁴⁰ مولاي علي بوخاتم - مصطلحات النقد السيميائي. ص 269.

(poéticite) (poétique) لأن مصطلح الشعرية دال في ذاته على الجمع فالقصيدة شعرية و القصائد شاعرية²⁴¹ .

و لكن هذا الناقد - مولاي علي بوخاتم - الذي كان ينقد مرتاضا على استعماله للشعريات يعلل في كتاب آخر له مصطلح (سيميائيات) لمحمد مفتاح بقوله " و هناك استعمال آخر يعثر عليه عند محمد مفتاح هو مصطلح " سيميائيات " كصورة في قالب جمع على لفظ (سيميائية) و نموذج يحاكي صياغة الألفاظ الدالة على العلوم كالطبيعيات والرياضيات²⁴² .

إذن فنصه هذا يرد على نصه السابق ، و يبتخلص الباحث أن الـ (الألف و التاء) عندما تزداد في آخر المصطلح هي للدلالة على أن هذا المصطلح يمثل حقلا من حقول العلم .

و يستطيع الباحث - في الأخير - أن يرصد تطورات هذا المصطلح في كتابات مرتاض في جدول :

المصطلحات المتعددة المرادفة لمصطلح الشعرية في كتابات مرتاض

<u>المصطلح</u>	<u>المرجع</u>
البويتيك La Poétique	النص الأدبي من أين ؟ و إلى أين ؟
الشعرية La poétique الشعرية = البويتيك الماء الشعري = الأدبية	أ. ي

²⁴¹ المرجع نفسه ص ن .

²⁴² مولاي علي بوخاتم - الدرس السيميائي المغاربي - ص145.

<p>السبع المعلقات.</p>	<p>الشعرية = الأدبية</p>
<p>النص الأدبي من أين؟ و إلى أين؟</p>	<p>الشعرية = الشاعرية</p>
<p>في نظرية الرواية "هل الحداثة فتنة"</p>	<p>الشعرانية = La poétique و الشعرية = poéticité</p>
<p>في نظرية الرواية</p>	<p>Poétique ↕ الشعرانية الشعريات</p>
<p>نظرية النص الأدبي الأدب الجزائري القديم الكتابة من موقع العدم</p>	<p>Poétique = الشعريات</p>
<p>تحليل سيمائي للخطاب الشعري تحليل الخطاب السردى ألف ليلة و ليلة - بنية الخطاب الشعري</p>	<p>شعرية (دون مقابل أجنبي)</p>

المبحث الثالث

مصطلح التناس

يقول مرتاض إن مصطلح " التناص " تعود جذوره في النقد العربي القديم إلى علي بن عبد العزيز الجرجاني (392هـ)²⁴³ , لكن في ثوب مصطلح (السرقات) .

وقد اقترح مرتاض تعريف للسرقات الشعرية عندما قال : " السرقات الشعرية هي اقتباس خفي أو ظاهر للفظ أو جملة من الألفاظ في سياق ما و إعادة صياغتها في بيت واحد من الشعر غالبا " ²⁴⁴ , و نستطيع أن نضمن من خلال هذا التعريف - تعمد الشعراء الأخذ من شعر غيرهم ، و هذا الذي يختلف فيه التناص مع السرقات .

و قد رفض مرتاض هذا مصطلح (السرقة) لأنه " يقتضي عقوبة قانونية " ²⁴⁵ و هذا " إهانة للشعراء و الأدباء و أنه لا يحمل الحقيقة في بعديها الأدبي و الأخلاقي معا " .²⁴⁶

وقد قارن مرتاض في موضع آخر بين (التناص) و (الاقتباس) كمصطلح عربي تراثي وقال بأفضلية مصطلح التناص دون أن يعلل ذلك : " وقد كان يطلق عليه البلاغيون العرب (الاقتباس) وأحسب أن المصطلح المعاصر الذي هو ثمرة من ثمرات الترجمة من الغربيين وهو أدق وأدل على الحال " ²⁴⁷ .

و السبب الذي جعل مرتاضا يقرّ بأن الجرجاني هو أول من أرسى فكرة التناص هو اختراعه لمصطلح (المشترك) ، فهو بهذا المصطلح ينفي سرقة بعض الشعراء من شعر بعض الشعراء الآخرين ، و علل ذلك - الجرجاني - بأنه من باب المتشابهات في الألفاظ و الأفكار .²⁴⁸

قال الجرجاني في كتابه "الوساطة" : " فمتى نظرت فرأيت أن تشبيه الحسن بالشمس والبدر والجواد بالغيث ... و صنف سبق المتقدم إليه ففاز به ثم تدوول بعده فكثرت واستعمل فصار كالأول في الجلاء والاستشهاد والاستفاضة على ألسن الشعراء فحمى نفسه من السرقة وأزال عن صاحبه مذمة الأخذ " ²⁴⁹ .

²⁴³ عبد الملك مرتاض - نظرية النص الأدبي .ص 197.

²⁴⁴ المرجع نفسه ص 199.

²⁴⁵ المرجع نفسه ص 203.

²⁴⁶ المرجع نفسه ص ن.

²⁴⁷ عبد الملك مرتاض - تحليل الخطاب السردي . رواية زقاق المدق ص 279.

²⁴⁸ المرجع نفسه ص 235.

²⁴⁹ علي بن عبد العزيز الجرجاني - الوساطة بين المتنبي وخصومه . ص 185/183.

وقد أعجب مرتاض بهذا النص واعتبره مرجعا لنظرية التناص المعاصرة بل إن التناص ليس إلا جزء من هذا القول ، قائلا : " الجرجاني في هذا التنظير المبكر في النقد العربي القديم فحسب ، ولكن في تاريخ النقد الإنساني من حيث هو يكشف عن فكر ثاقب وذكاء خارق ، فيستنبط من حيث لا يشعر نظرية حديثة - وذلك برده لنظرية السرقات الأدبية التي كانت تشغل أذهان الناس على عهده - هي نظرية التناص فليست نظرية التناص إلا بعض ما يرد في هذا النص الذي استشهدنا به ²⁵⁰ .

إذن فالجرجاني - في نظره- أعطى نظرة موضوعية للتناص / السرقات إذ اعتبر أن أخذ شاعر من آخر قد لا يكون سرقة بالضرورة فقد يكون من باب الاشتراك في توارد الخواطر و اتحاد الأفكار و العبارات ، و هذا الذي سيقوله التناص المعاصر - بعد قليل - بل سيجعل أصل التناص هو النصوص الغائبة المجهولة .

كما يستحضر (مرتاض) ابن خلدون في هذه القضية الذي تناول هذه المسألة من زاوية أخرى ، فهو الذي نصح طلابه بأن يحفظوا عشرة آلاف بيت من الشعر ثم نسيانها تماما ، بعد ذلك الشروع في محاولة التأليف و سمي هذه العملية بـ (نسيان المحفوظ) . حيث تلتقي هذه الفكرة مع فكرة (رولان بارت) : " تضمينات من غير تنقيص " ²⁵¹ ؛ أي أن تضمن النص الأصلي نصا آخر دخيل عليه دون أن تجعل هذا الأخير بين علامتي تنقيص .

يرى مرتاض أن النقاد الفرنسيين كانوا يستعملون مصطلح السرقات الأدبية (Le Vol littéraire) ²⁵² لخفته و قد عزى فضل سبق بهذا المصطلح بـ " جان جيرودو " (1882-1944) صاحب المقولة التي دافع مرتاض عنها و اعتبرها المقولة الأساس للتناص المعاصر ، حيث يقول هذا الأخير فيها " إن السرقة الأدبية هي أساس كل الآداب باستثناء الأول منها ، المجهول على كل حال ²⁵³ .

إلا أن هذا لم يمنع مرتاضا من الإقرار لباختين بفضل سبق في هذا المجال و الذي أطلق مصطلحات أولى للتناص ك :

²⁵⁰ عبد الملك مرتاض - في نظرية النقد ص 233.

²⁵¹ عبد الملك مرتاض - نظرية النص الأدبي - ص 246.

²⁵² المرجع نفسه ص 191 .

²⁵³ المرجع نفسه ص 192.

أما عن إرساء قواعد هذا العلم المفهوم فيعود الفضل - في رأيه - إلى جوليا كرسنيفا فهي التي " استثمرت الأفكار الأولى التي كانت تكتب عن السرقة الأدبية و أفادت - خصوصا- من باختين - فاجتعلتها هي (Intertextualité) أو إنتاجية النص (Productivité textuelle)"²⁵⁵ .

و قد عرّف مرتاض التناص بتعريفات متنوعة :

1- " هو استبدال نصوص سابقة بنص حاضر دون قصد ."²⁵⁶

2- " هو الوقوع في حال تجعل المبدع يقتبس أو يضمن ألفاظا أو أفكارا كان التهمها في وقت سابق ما دون و ع ي صراح بهذا الأخذ الواقع عليه من مجاهل ذاكرته و خفايا وعيه فمفهوم التناص يعني ضرورة الإقرار بنسبية الإبداع"²⁵⁷ .

3- " التناص للنص الإبداعي كالأكسجين الذي لا يُشم و لا يُرى و مع ذلك لا لأمر من العقلاء ينكر بأن كل الأمكنة تحتويه و أن انعدامه في أيها يعني الاختناق المحتوم ، فمن من الكتاب يزعم أن ما يكتبه لم يخطر بخلد أحد من قبله و لا فكر فيه و لا التفت إليه ... إن كل كاتب ناهب من حيث لا يشعر ولا يريد"²⁵⁸ .

من خلال هذه التعريفات الثلاث يبيّنتج الباحث محاور التناص :

- 1 حضور نصوص غائبة في نصوص حاضرة .
- 2 هذا الاستحضار عن غير قصد .
- 3 و هو ضروري في الإبداع .

²⁵⁴ المرجع السابق ص 276.

²⁵⁵ المرجع نفسه ص ن .

²⁵⁶ المرجع نفسه ص 199.

²⁵⁷ المرجع السابق ص ن .

²⁵⁸ عبد الملك مرتاض - تحليل الخطاب السردى - ص 278.

و لنلاحظ التعريف الثالث و بالضبط عند لفظة (ناهب) و نستحضر انزعاج مرتاض من مصطلح (السرقة) المستعمل في النقد العربي القديم لأنه يحط من قيمة الأدباء و الشعراء . و لكن هل كلمة (ناهب) مناسبة ؟ إنها غير مناسبة - حسب رأي الباحث - لأنها تعني الأخذ بالغضب و القوة دون حق .

يحاول مرتاض في كتابة (نظرية النص الأدبي) أن يؤصل لمسألة التناص و يفهم كنهها و لماذا أنت فهو يعتقد أن أمام عجز البحوث المقارنة التي تبحث في الأفكار السابقة عبر أكثر من لغة ، كان لا مناص من التفكير في استحداث نظرية جديدة توفق بين أفكار السرقات الأدبية العقيمة الأجواء و أفكار الأدب المقارن المستحيلة التحقيق فتتقدما معا من الورطة و انتهوا - النقاد الغربيين - إلى أن التناص هو الحل .²⁵⁹

لأن التناص لا يبحث عن أسبقية أخذ هذا الشاعر من الآخر بل يهتم بكيفية توظيف هذا الشاعر لنصوص ذلك الشاعر أو غيره و هذا هو مناط الاختلاف بين التناص و السرقات و كذا الأدب المقارن . و هذا الذي جر مرتاضا إلى نقد وظيفة السرقات لأنه ا - التناص - تهتم بالنتيجة دون السبب ؛ فالنتيجة وقعت فلا داعي إلى اللحاق وراء خيوط قد تصل بك إلى الأصل و قد لا تصل . و هنا يفرق مرتاض بين التناص الغربي و التناص العربي ، فالتناص الغربي هو الذي كنا نتحدث عنه أما التناص العربي فيعترف بالنتيجة و بالسبب كذلك أي " في كيفية الطرائق التي تفضي إلى تكوين الشخصية الأدبية لدى كاتب من الكتاب"²⁶⁰.

و نخلص إلى أن السرقات الشعرية (في التناص العربي) يبحث عن جذور / أصل السرقة و لكن التناص الغربي يهمل ذلك . والسبب بسيط في هذا ؛ فمردّ البحث عن جذور السرقة - في رأي الباحث - هو حرص النقاد العرب القدامى على نقاوة الشعر العربي من الاختلاس والنهب والأمر الذي ساعدهم على ذلك محدودية كمّ الشعر في ذلك الوقت . أما الآن وقد كثر الشعراء وتعددت أجناسهم فأصبح التنقيح في جذور المعاني الجديدة أشبه بالمستحيل ولأن الفائدة من التنقيب في ذلك لم تعد كبيرة .

²⁵⁹ عبد الملك مرتاض - نظرية النص الأدبي - ص 275 - 276.

²⁶⁰ المرجع نفسه ص 252.

و لكن الباحث وجد ما يخالف هذا الإقرار في نفس الكتاب فهو كان قد أقر باختلاف المصطلحين (السرقة) و (التناص) و لكنه يقول في موضع آخر قال بأن " المسألة في رأينا مسألة مصطلح لا مسألة الفكرة في حد ذاتها فهي قد وردت في النقد العربي القديم " ²⁶¹ , بل هناك شاهد آخر يقوي ما ذهب إليه الباحث وهو قول مرتاض : " غير أن التناص المعاصر يحاول في حذقة مائية بادية أن يزعم للناس أنه غير (السرقة الأدبية) على الرغم من أنه في حقيقته ليس إلاها (...) و كل ما في الأمر أن النقاد الأقدمين كانوا ربما دانوا السرقة الأدبية و هو من شأن الأديب الذي يعول عليها تعويلا مفضوحا ²⁶² .

و قد حمل مرتاض هذا المفهوم (التناص) سمة التناقض فهو - التناص - مرة يظهر بثوب الاجتماعي ؛ لأنه يحيل على نصوص أخرى مختلفة المصادر و الثقافات يضطمها في نفسه ، لكنه في الوقت ذاته لا يعني غير التفاعل مع النصوص الأخر بحيث يكون مجرد استبدال نصوص سابقة عليه بنفسه . ²⁶³

و في نفس السياق ينتقد مرتاض نظرية (الاستبدال) الكريستيفية و التي مفادها أن النص المكتوب ليس إلا اجترار لنصوص أخر غير معروفة أو نصوص مجهولة " فمثل هذا المذهب يجعل الكاتب عبدا لنصوص لا يعرفها و كأنه لم يتأثر بها " ²⁶⁴ و لكن - كذلك - هناك نصوص لا يمكن أن يتناساها المرء ، فهي راسخة في ذهنه منقوشة خارجة عن دائرة النصوص المجهولة .

و نقد مرتاض (رولان بارت) عند استعماله لمصطلح (بين النص) (Inter-texte) و هو : " تأثر مكشوف للكتاب الراهنين بالكتاب السابقين " ²⁶⁵ ، فيلحظ رولان بارت أن كتابات " بروسست " كثيرا ما كانت مرجعا لكتابات روائية أخرى .

و هذا تناقض منه فأين هي النصوص المجهولة و هو يثبت هنا كتابات " بروسست " بالتحديد ؟!

²⁶¹ المرجع السابق ص 258.

²⁶² المرجع نفسه ص 264.

²⁶³ المرجع نفسه ص 289.

²⁶⁴ المرجع نفسه ص 265.

²⁶⁵ المرجع نفسه ص 266.

و يعجب مرتاض من غريماس و كورتيس اللذين يهنتان أصحاب الأدب المقارن بقدم مفهوم التناص لأنه يتعارض مع الأدب المقارن لأن الأدب المقارن " إصرار على البحث عن أصل الفكرة و الذهاب في ذلك إلى أبعد الحدود الممكنة أي إلى إمكان العثور على أبي عذرها ، فهو صحيح و هدير ؛ في حين أن التناص زهد في البحث عن أصل الفكرة المعالجة مع الإقرار بوجودها فهو صمت و تسليم .²⁶⁶

و قد اقترح مرتاض مصطلحا آخرًا للتناص و هو " التكاثر " و اقترحه هذا لم يبين على اعتبار بل عن دقة و تفحص فقد برر ذلك بعدة أشياء :²⁶⁷

- 1 التناص عام يشمل اللغة و الأسلوب و الأفكار السابقة المكتوبة .
- 2 التكاثر أكثر خصوصية .
- 3 التناص مفهوم يطلق على كل شيء .
- 4 مصطلح التكاثر ينصرف إلى تأثر الكاتب بكتابات أخرى بصرف النظر عن جنس هذه الكتابة .
أما عن مصطلح " التناصية " فإن مرتاض يقول :

1- / " و لقد سبق لنا في كتاباتنا الأخيرة أن تناولنا الحديث عن التناص أو التناصية على أصح ما ينبغي أن يقابل المفهوم الغربي (INTERTEXTUALITi) ، إما تنظيرا أو تطبيقا "²⁶⁸.

2- / " ... و ذلك حين أطلقوا على السرقات الأدبية مصطلحا جديدا هو التناص (Intertextualité)"²⁶⁹

3- / " ... و المسألة برمتها أي ما يتمحض للناص و المنتاص معا يطلق عليها ، كما نأتي ذلك فعلا في النقد المعاصر (التناص) فإذا انزلقنا إلى البحث في الماهية و المفهوم و العلاقات أي في صميم النظرية فذلك هو " التناصية " (Intertextualité)"²⁷⁰ .

²⁶⁶ المرجع السابق ص: 280.

²⁶⁷ عبد الملك مرتاض : " بين التناص و التكاثر " مجلة قوافل - النادي الأدبي - الرياض - السعودية مجلد 04 ، ع 07 1996 ص ص: 195 - 198

²⁶⁸ عند الملك مرتاض - السبع المعلمات (مقارنة سيميائية أنثروبولوجية لنصوصها) - منشورات إتحاد الكتاب العرب .1998. (مرقون) ص 182.

²⁶⁹ عبد الملك مرتاض - نظرية النص الأدبي . ص 193.

الناظر لهذه النصوص الثلاثة يلاحظ أن :

1 مرتاض يفرق بين التناص و التناصية .

2 يفضل مقابلة (Interextualité) بالتناصية .

3 تراجع عن مقابلة (Interextualité) بالتناص في كتاباته المتأخرة .

و قد أورد مرتاض مصطلحا آخر رادفه بمصطلح التناص في كتابه " في نظرية النقد " : " القراءة

سلوك حضاري فكري ذهني روحي جمالي ثقافي , هي عادة متحضرة هي دأب متأصل هي مثاقفة داعية

هي ما يمكن أن نطلق عليه في لغتنا الخاصة (مقاربة) أو هي كما يعبر بعض الغربيين (تناص) " 271

إذن المصطلح الأخير الذي اقترحه وهو (مقاربة) ! على وزن (مفاعلة) وهذا الوزن يقتضي المشاركة في

الفاعل .

المصطلحات المتعددة المرادفة لمصطلح التناص في كتابات مرتاض

<u>المصطلح</u>	<u>المرجع</u>
التناص (Interextualité)	في نظرية النص الأدبي - تحليل الخطاب السردى
التناصية (Interextualité)	في نظرية النص الأدبي - السبع المعلقات
التكاتب	" بين التناص و التكاتب "
السراقات الشعرية	في نظرية النص الأدبي
المقاربة	في نظرية النقد

²⁷⁰ المرجع نفسه ص 216 (الهامش) .

²⁷¹ عبد الملك مرتاض - في نظرية النقد ص 101 .

المبحث الرابع

مصطلح الخطاب

يتناول مرتاض هذا المصطلح ابتداء من النقد العربي القديم ، و بالضبط عند الجاحظ ، فقد وجد عبارة للجاحظ لم يطلق فيها مصطلح (الخطاب) و إنما أطلق مصطلح (النسج) فاعتبر مرتاض هذا المصطلح خطابا فقال : " و النسج الذي كان الشيخ يريده فيما نخال هو ما قد نريده اليوم نحن بـ (الخطاب)، و أحسب أن هذا المصطلح من أقدم مصطلحات النقد الأدبي في العربية ، فلم يقل الشيخ هنا (الديقاجة) و لا (التركيب) فقد تمثل الكلام بُزى ، و هذه البنى تنضاف إلى بعضها لتؤلف نسجا له سطح ، فالنسج هنا يحمل كل خصائص الخطاب الخارجية أو السطحية ، و ذلك هو موضوع النقد الحديث في النص الأدبي²⁷² ، من خلال هذه الفقرة نخلص إلى أن الخطاب هو النسج بالمصطلح القديم (الفرق فقط

²⁷² عبد الملك مرتاض - بنية الخطاب الشعري ص:15,16 .

في الاصطلاح) و هو عبارة عن تشابك بنى لفظية فيما بينها تشابكا سطحيا متناسقا . وقد أطلق مرتاض بعض العبارات التي تؤكد هذا المعنى المستخلص :

أ- " هل المضمون أولى في العملية النقدية أو الخطاب ²⁷³ .

ب- " الخطاب نسج من الألفاظ ، و النسج مظهر من النظام الكلامي الذي يتخذ له خصائص لسانية تميزه عن سواه ²⁷⁴ .

ج- "... بأن هذا الكلام العادي البسيط استطاع أن يكون شعرا عظيما لأن الأمر لا يكمن في غرابة الألفاظ و لا في عمق المعاني في الشعر ، قدر ما يقوم في هذا النسج الذي نطلق عليه نحن (الخطاب الشعري) ²⁷⁵ .

إذن من خلال هذه العبارات - التي تعمد الباحث رصفها - يتبين أن مرتاضا لا يفرق بين النسج و الخطاب و هما مترادفان عنده.

لكن الباحث وجد عبارات أخر تدل على اضطراب مرتاض في استخدام مصطلح النسج و الخطاب معا:

1 " وقد تطورت الأطوار بأهل الغرب فاغتنوا يطلقون على هذا الضرب من المفهوم الألسني غالبا مصطلح langage و هو ما نطلق عليه نحن (الخطاب) وعلى أن هذا المصطلح نفسه واسع قد يشمل نسج الخطاب أو طبيعة الأسلوب المستخدم بيد أنه في الغالب يطلق على شبكة العناصر الألسنية المستخدمة داخل نص من النصوص ²⁷⁶ .

2 "... فهناك إذن نسج و هو من خصائص الخطاب ²⁷⁷ .

عند المقارنة بين هاتين العبارتين يرى القارئ مكان الاختلاف و الاضطراب ، فهو يكمن في أن الخطاب غدا أوسع من النسج الذي جعله مرتاض مرادفا له قبل قليل ، فقد أصبح خاصية من خاصياته .

²⁷³ المرجع نفسه ص35.

²⁷⁴ المرجع نفسه ص 53.

²⁷⁵ المرجع نفسه ص 192.

²⁷⁶ المرجع السابق ص 245.

²⁷⁷ المرجع نفسه ص16.

و الملاحظة الأخرى هو مقابلة مرتاض لمصطلح الخطاب بـ (langage) و هو الذي قابل مصطلح الخطاب بـ Discours في مرجع آخر. قائلًا: " ..والنص أيضا , في بعض مفاهيمه لدى السيميائيين قد يكون مرادفا للفظ الخطاب Discours ".²⁷⁸

يعود هذا الاختلاف في مقابلة مصطلح (خطاب) مرة بـ: (Langage) و مرة بـ (Discours) إلى حداثة هذا المصطلح النقدي - الخطاب - المعبئ بحمولة نقدية غربية و أن و صوله إلى الساحة النقدية العربية آنذاك كان مبكرا ما زال لم يرس على مصطلح واضح . فقد استعمل مرتاض (langage) كمقابل للخطاب سنة 1986 في حين استعماله لمصطلح (Discours) كان سنة 2007 حسب طبعة الكتاب (المأخوذ منه النص السابق) .

و قد وضع مرتاض معيارا للخطاب فقال : " الخطاب الشعري في مذهبنا هو كل إبداع أدبي بلغ الحد المقبول و نال إعجاب أكثر من ناقد ، أي كل إبداع أدبي نال الحد الأدنى من إجماع الناس على جودته فيصنف في الخالدات من الآثار الفكرية "²⁷⁹ .

إذن فهناك درجة يجب على الشاعر أن يصلها و الشرط في ذلك أن ينال هذا النتاج الشعري إعجاب أكثر من ناقد .

و لكن ماذا يسمى هذا النتاج الشعري إن لم ينل إعجاب النقاد !؟

هذا هو مفهوم مصطلح الخطاب لدى مرتاض ، و لكن ماذا عن مصطلح (النص) ؟ هل له علاقة بهذا المصطلح ، هل هما متطابقان ؟

تكلم مرتاض عن مصطلح (النص) من خلال اللغات الأوربية في أصل وضعه فقال : "فالنص مثلا في أصل الاشتقاق و الوضع في معظم اللغات الأوربية الحديثة يعني باتفاقها " النسيج " نجده على ذلك

²⁷⁸ عبد الملك مرتاض - نظرية النص الأدبي ص 54.

²⁷⁹ عبد الملك مرتاض - بنية الخطاب الشعري ص 34.

في الفرنسية (texte) و الإسبانية (texto) و الإنجليزية (text) و الروسية (tekta) و قد أخذت هذه الألفاظ كلها من أصل واحد هو اللاتينية التي تطلق على النص «(textus)»²⁸⁰.

كما يضع مرتاض شروطا لهذا النص فليس شرطا أن يكون قصيدة كاملة أو قصة أوربية بل يمكن أن يكون مثلا شعبيا أو عبارة كـ " ممنوع التدخين " و فيها تتوافر كل مواصفات النص:²⁸¹

- 1- أنها رسالة .
- 2- أنها بثت .
- 3- بُثت بقصد التلقي .
- 4- بقراءتهم إياها فقد استقبلوها .
- 5- أدت غاية تبليغية .

وقد وسم مرتاض كلام بارت بالمبالغة الذي قال فيه "فإن نظرية النص تغتدي هي كل كتابة على الإطلاق ، فالتعليق على النص نفسه هو نص ، و النقد نص ، و نظرية النص نص ، و كل من يكتب شيئا على وجه الإطلاق و يصطنع اللغة فهو ينجز نصا"²⁸².

و عقب مرتاض على هذا الرأي عندما قال بأنه يشوبه شيء من المبالغة " فقد كان عهد الناس بالنص أن يكون أدبيا يقوم على بنات الخيال ، و يشتمل على حد أدنى من الأدبية"²⁸³ .

بعد أن عرفنا مفهوم النص عند مرتاض . ما الفرق بينه و بين الخطاب؟

يرفض مرتاض أن يكون النص خطابا قائلا " ثم لم لا يكون النص خطابا و الخطاب نصا ؟ ذلك شيء قيل به و لكننا نحن نأبى القول به ، فالنص لدينا أشمل و أرحب أما الخطاب فتضيف داخلي ، تفصيل من مجمل ، و فرع من أصل كبير،النص هو كل كتابة على وجه الإطلاق في حين أن الخطاب تصنيف لنوع الكتابة و تخصص فني داخلي في تجنيسها"²⁸⁴.

ويستطيع الباحث أن يفرق جليا -على ضوء ما ذكر مرتاض- بينهما:

²⁸⁰ عبد الملك مرتاض - نظرية النص الأدبي - ص45.

²⁸¹ المرجع نفسه ص56.

²⁸² CF.R.Barthes.Théorie du texte .in op.cit. p.100 نقلا عن : عبد الملك مرتاض نظرية النص الأدبي ص 48 .

²⁸³ المرجع نفسه , ص 48.

²⁸⁴ المرجع السابق ص12.

الخطاب	النص
كل كتابة مطلقا	أشمل و أرحب
فرع	مجمل وأصل
تصنيف لنوع الكتابة	كل كتابة مطلقا

والظاهر من هذا أن مرتاضا كان يفرق تفريقا بيّنا بين النص و الخطاب , و لكن هناك التباس في استعمال هذا المصطلح وذلك من خلال بعض نصوصه :

- 1- " فماذا منع النقاد العرب المعاصرين من اصطناع مصطلح (النسج) إطلاقا على النص أمثال النقاد الغربيين و هو الأولى بالاستعمال الأدبي إلى الاشتقاق و الأنسب بالوضع ؟ " .²⁸⁵
 - 2- " والنسج الذي كان الشيخ يريدُه فيما نخال هو ما قد نريدُه اليوم نحن بـ (الخطاب) و أحسب أن هذا المصطلح من أقدم مصطلحات النقد الأدبي في العربية " .²⁸⁶
- ولو لاحظنا العبارتين لوجدنا أن :

- (1) - النسج هو النص (من خلال العبارة 1).
- (2) - النسج هو الخطاب (من خلال العبارة 2).

²⁸⁵ عبد الملك مرتاض - نظرية النص الأدبي - ص 51.

²⁸⁶ عبد الملك مرتاض - بنية الخطاب الشعري - ص 15.

إذن لا فرق بين النص و الخطاب - حسب مرتاض - فكلاهما يجتمعان تحت مصطلح واحد وهو النسج ، و الباحث يعزو هذا التغيير إلى تبلور مفهومي النص و الخطاب لدى مرتاض و تطورهما ، و هذا تراجع واضح منه.

توظيف مرتاض لمصطلح الخطاب ومرادفاته في مؤلفاته

⋮

المصطلح	المرجع
الخطاب	بنية الخطاب الشعري - في نظرية الرواية - نظرية النص الأدبي نظام الخطاب القرآني - أ.ي- التحليل السيميائي للخطاب الشعري
النسج	بنية الخطاب الشعري.

المبحث الخامس

مصطلح الانزياح

أخذ هذا المصطلح من جهد النقاد الغربيين و العرب الكثير حتى إنه تفرد بكتب خاصة²⁸⁷. و أصبح متداولاً في الكتابات النقدية تنظيراً و تطبيقاً.

و قد عرفه نور الدين السّد قائلاً : هو " انحراف الكلام عن نسقه المؤلف و هو حدث لغوي يظهر في تشكيل الكلام و صياغته و يمكن بواسطته التعرف إلى طبيعة الأسلوب الأدبي ، بل يمكن اعتبار الانزياح هو الأسلوب الأدبي ذاته²⁸⁸ .

و قد عاد مرتاض إلى التراث و بالتحديد إلى " سيبويه " و أطلق عبارة تعليقا على كلام سيبويه : " ... فليس مثل هذا الحديث عن النسج اللغوي [و] الكتابة الأدبية إلا حديثاً مبكراً عن السيميائيات الأدبية القائمة على الانزياح الأسلوبي²⁸⁹ .

و ذلك عند زهاب سيبويه إلى أن النسج قد يكون مستقيماً حسناً و قد يكون محالاً مثل (أتيك غدا - و سأتيك أمس).

²⁸⁷ على سبيل المثال : - الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية - أحمد محمد ويس .

- الانزياح الشعري عند المتنبي - أحمد مبارك الخطيب / نظرية الانزياح - فتحية كحلوش ...

²⁸⁸ نور الدين السد - الأسلوبية و تحليل الخطاب . ج 1 ص 179 .

²⁸⁹ عبد الملك مرتاض - نظرية النص الأدبي . ص 172 .

وعلق مرتاض على الكلام المستقيم الكذب الذي قال به سيبيويه مثل (حملت الجبل) على أنه " في الحقيقة ليس إلا توتيرا للغة و تزييحا لنسجها للخروج بأسلوب الكلام من الرتابة المألوفة لدى المتلقي إلى مجال أرحب " .²⁹⁰

وفرق بين الكذب و المحال ، فالكلام المكذوب موكل ما احتمل الصيف و الكذب أما " من الوجهة الانزياحية فإن هذا الكلام يفلت من تهمة الكذب ، و يرقى إلى مستوى النسج الأدبي الرفيع " ²⁹¹ ، و علل ذلك بأنه ممكن حمل الجبل إذا شحنا معنى الجبل بدلالة انزياحية جديدة كأن يكون القصد من هذا الجبل عالما متبحرا.

بل إنه شكر سعي عبد الله بن المعتز العباسي في الوصول بمرثيته " إلى درجة الانزياح في استعمال معنى الجبل و الانتقال به من المعنى المعجمي السائر إلى معنى انزياحي خاض " ²⁹² ، و ذلك في قوله : هذا أبو العباس في نعشه .: قوموا فانظروا كيف تسير الجبال ، ولم يكتف - فقط - بإيعاز استخدام الانزياح كمفهوم لسيبيويه بل أتى كذلك على ابن جني في التفاتته السيميائية المبكرة و كذلك الجرجاني الذي نبه إلى أن اللغة من حيث الدلالة هي ذات مستويين : مستوى دلالي معجمي ، و مستوى دلالي آخر انزياحي و هو الأجل و الأرقى ²⁹³ .

من خلال هذه الاقتطافات يخلص الباحث إلى أن مرتاضا يقر للنقاد القدامى بالأسبقية في استنتاج هذا المفهوم من الكلام العربي لكن التععيد الرزين المكتمل المتكامل لم يتوصلوا إليه .

وقد عرف مرتاض هذا المصطلح قائلا هو " خروج النسج عما ألف المتعاملون مع اللغة هو ما يطلق عليه اليوم في مفاهيم السيميائية " الانزياح " بصرف النظر عن صدقه أو كذبه ²⁹⁴ .

من خلال هذا التعريف يرى الباحث أن مرتاضا يدخل " الانزياح " إلى مصطلحات السيميائية بل يعتبره في البلاغة كأنه المجاز المرسل أو المجاز العقلي.

²⁹⁰ المرجع نفسه ص 172 .

²⁹¹ المرجع نفسه ص ن .

²⁹² المرجع السابق ص 173 .

²⁹³ المرجع نفسه صص 176 - 177 .

²⁹⁴ المرجع نفسه ص 173 .

و قد اختار مرتاض مصطلح (الانزياح) دون غيره من المصطلحات لأن: ²⁹⁵

1- الانحراف غير متداول سيميائياً بل هو متداول في المعاني المادية .

2- العدول يفتقر إلى قوة مفهومية و خلفية معرفية ، بل هو مجرد أداة لقراءة نحوية .

من خلال هذين الشرطين يحس الباحث أن هناك احترافية في سل مرتاض المصطلح من بين كثير من المصطلحات.

و يميز مرتاض ما بين اللغة الأدبية و اللغة الوظيفية - كما يسميها - و المعيار في ذلك هو الانزياح ف " الانزياح هو الذي يحكم اللغة الأدبية، بين الدلالة الواقعية البسيطة أو

العميقة ... هي التي تحكم اللغات الوظيفية بوجه عام " .²⁹⁶

و لكن يعترض مرتاض على بعض المروقات الدلالية الفوضوية التي تبغي الوصول إلى الجمالية دون احترام لقواعد اللغة و اعتبارها فوضى و جهالة قائلاً: " لكننا نريد إلى أن الكاتب الكبير لممارسته الطويلة للغة و تعامله معها ، يستأنس بها و تستأنس به ، فيجد كل منها شيئاً من الرغبة في الانزياح (L'ecart) عن المعنى الأول إلى معنى ثان ، فنتسع الدلالة و تغنى ، بفضل استخدام عناصر من التبليغ معينة مثل الرمز ، و الاستعارة و المماثل (Icone) و سواها .."²⁹⁷

و الذي يؤخذ على مرتاض في هذا المقام تعديده لبعض المصطلحات و اعتبارها مرادفة لمصطلح "الانزياح" مع أنه انتخب هذا الأخير ، و ربما هذا التقلب بين المصطلحات مرده إلى البحث عن أنسب مصطلح لهذا المفهوم :

²⁹⁵ عبد الملك مرتاض - قراءة النص - مؤسسة اليمامة كتاب الرياض ع 46- 47. أكتوبر - نوفمبر 1997 ص 306-308-نقلا عن

يوسف و غليسي - إشكالية المصطلح النقدي - ص : 215.

²⁹⁶ عبد الملك مرتاض - في نظرية الرواية . ص 110 .

²⁹⁷ المرجع نفسه ص 123.

1- في كتابه (شعرية القصيدة) استخدم مصطلحات أخرى ك : ²⁹⁸

العدول - الخرق - التوتير - الانحراف - الانتهاك - التدمير - التهديم - الفرق - البعد - اللحن .

2- قال مرتاض : " و لا إلى السعي إلى التصوير و لا إلى الانزياح و التحريف ... " ²⁹⁹.

3- قال مرتاض : " ... و الانزياح (Ecart-Gap) يتصنف بامتياز في حقل السيمائية " ³⁰⁰.

و هذا التعدد في الاصطلاح كان متوقعا في الخطاب النقدي العربي لأنه موجود في البيئة التي أنشأته ، فقد عدّ الدكتور يوسف و غليسي لهذا المفهوم ما يقارب العشرين مصطلحا ³⁰¹ و قد عدّ عبد السلام المسودي تقلبات هذا المصطلح عند كبار النقاد الغربيين فوجد :

الانزياح (Ecart) و التجاوز (Abus) عند فاليري .

الانحراف (Déviation) عند سبتر .

الاختلاف (Distorsion) رينيه و يليك و أو ستن وارين .

الإطاحة (Subvertion) باتيار .

المخالفة (Infraction) تيري .

الشناعة (Scandale) بارط .

الانتهاك (Viol) كوهن .

خرق السنن واللحن - تودوروف .

العصيان (Transgression) أراغون .

²⁹⁸ عبد الملك مرتاض - شعرية القصيدة - قصيدة القراءة - دار المنتخب العربي - بيروت 1994 ص 129-130.

²⁹⁹ عبد الملك مرتاض - نظرية النص الأدبي . ص 48.

³⁰⁰ المرجع نفسه ص 172.

³⁰¹ يوسف و غليسي . إشكالية المصطلح النقدي . ص 204.

الخاتمة

الخاتمة

كان هذا البحث محاولة لاكتشاف أصول المصطلح السيميائي عند مرتاض ومدى استيعابه له وكيفية توظيفه له في كتاباته النقدية المختلفة.

وقد وصل البحث إلى هذه النتائج:

- في الفصل الأول تطرق البحث إلى بعض القضايا النظرية المتعلقة بالمصطلح والمصطلحية , فوجد أن :

- قضية المصطلح قضية قديمة في الثقافة العربية فقد ظهر المصطلح في أوائل القرون الهجرية واهتموا به حتى قالوا: المصطلحات مفاتيح العلوم، والسمة التي كانت غالبية عليه هو تجنب التعدد في المصطلحات للمفهوم الواحد.

- النقاد العرب القدامى يشوب تعريفه م وفهمهم للمصطلح شيء من العمومية في حين أنه نضج واكتمل عند النقاد العرب المعاصرين .

- علم المصطلح هو العلم الذي يهتم بدراسة الأسس العلمية في وضع المصطلح يهدف إلى تنظيم المعارف (ترتيب التصورات والمفاهيم) في شكل منظومات ونقل المعرفة والمهارات والتقنية الخاصة وصياغة المعلومات التقنية وترجمة النصوص الخاصة إلى اللغات الأخرى وتخزين المعلومات واسترجاعها .

- من ضوابط وضع المصطلح ما يلي : أن يكون المصطلح لفظا لا عبارة - تجنب تعدد الدلالات للمصطلح الواحد - استقراء المصطلح في التراث العربي أولا - تفضيل الكلمات العربية الفصيحة على الكلمات المعربة- يستحسن وجود مناسبة بين المدلول والمصطلح-

تفضيل الشائع على الشاذ والعالمي على المحلي - استخدام أساليب توليد المصطلحات: الاشتقاق- المجاز- التعريب- التوليد- النحت- الدخيل.

- للبيئة دور كبير في التأثير على المصطلح، يصطبغ بصبغتها وتحمله حمولتها الثقافية والمعرفية، و كلما كان هناك تباين بين ثقافتين في المعتقد والأفكار والتقاليد كلما صعبت المتاقفة وانتقال المصطلحات بينهما .

- للترجمة دور كبير في نقل العلوم والمعارف بين الثقافات وتتلخص وظيفتها في التواصل وإحداث المواكبة والتغطية العلمية والأدبية وصل الذوق والخيال وتساعد على انفتاح الشعوب على بعضها , و تعترض الترجمة عدة معوقات في الثقافة العربية المعاصرة منها : _ غياب التخطيط والتنظيم _ قلة المترجمين المقتدرين _ غياب القرار السياسي الذي يعطي ترجمة مكانة مركزية _ غياب المرجعية في بعض الترجمات _ ترجمة المصطلحات النقدية الغربية دون العلم بالسياقات للمناهج التي أنتجت هذه المصطلحات.

في الفصل الثاني تعرض البحث إلى التنقيب في أصول بعض المصطلحات السيميائية على ثلاث مستويات : عند العرب وعند الغرب وعند مرتاض , أما في الفصل الثالث فقد تعرض إلى توظيف مرتاض لهذه المصطلحات والصعوبات التي لقيها في توظيفه وهل انعكست هذه الصعوبات بالسلب على دراسته . و توصل البحث في الفصلين إلى :

- يعود مرتاض بمصطلح (السيمائية) _ على خلاف كثير من النقاد _ إلى مادة (س و م) وليس إلى مادة (و س م). في حين أن السيميا عند العرب القدامى كانت تعني علم السحر والتنجيم , أما عند ابن خلدون فهو من خصائص أهل التصوف ، لأن أهل التصوف لهم مصطلحاتهم الخاصة . أما الجاحظ و أبو حامد الغزالي وأبو هلال العسكري فقد تحدثوا عن العلامة وقصديتها واعتباطيتها ، والعلامة من مباحث السيميائية كما نعلم .
- التفكير السيميائي عند الغرب يعود إلى الرواقيين ، ثم مع القديس أوغسطينس ثم مع جون لوك الذي قد تميزت عنده السيمياء عن العلوم الأخرى .
- ارتبط مصطلح Semiotique (الأمريكي المنشأ) بالمنطق والفلسفة ، وهو أسبق في الوجود من مصطلح Semiologie (الفرنسي المنشأ) ارتبط باللسانيات ، أما مؤخرا فهما يستعملان دون تمييز وتفریق .
- رجع مرتاض بأصل مصطلح (سيمياء) إلى الجاحظ ، وهذا يدل على أن مرتاضا - بخلاف بعض النقاد العرب - متأصل في التراث النقدي العربي ، لا يتناول مصطلحا غربيا إلا ورجع إلى التراث النقدي العربي عسى يجده هناك .وقد قابل مصطلح (Sign-Signe) بالسمة رافضا أن يقابله بالعلامة لعدة أسباب من بينها أن العلامة مستخدمة في النحو العربي بمعنى لاحقة أي أنها مستهلكة , وكذلك يعود مرتاض كذلك إلى الثقافة الغربية ليأخذ عنها مفهوم السمة وأقر بأن (بيرس) هو أول من تحدث عن السيميائية ولكنها لم تتخذ عنده شكل المشروع العلمي ، وربطها مرتاض بالثقافة الأنجلوأمريكية مع (لوك) .
- يفرق مرتاض بين (Semiologie) و (Semiotique) فينصرف الأول إلى النظرية أما الثاني والذي قابله بالسيمائيات فينصرف إلى التطبيق أو القراءة السيميائية وقد أخذ هذا التفریق من يلمسليف وهو يعترف بذلك , وكذلك يفضل مرتاض مصطلح (السيمائية) على السيميائية والسيمولوجيا لأن في مصطلح (السيمائية) جمع بين ساكنين الأمر الذي يعنت الحنجرة.
- حصر أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين مصطلح السيمولوجيا والسيموتيكيا في :
 - * كلاهما يبتدئ بالسابقة (SEMIO) وهو من اللغة الإغريقية .
 - * اسمان بنيا على أصل الوضع الإغريقي لمسمى واحد .

*السيموتيكات ترتبط بالثقافة الانجلوسكسونية والسيمولوجيا بالثقافة الفرنسية .

*السيموتيكات أقدم وجودا من السيميولوجيا وهو مرتبط بالفلسفة أما السيميولوجيا فمرتبط باللسانيات .

- قابل مرتاض في كتاباته النقدية المبكرة مصطلح (Semiotique) بالسيموتيكية (تعريب) ثم جنح إلى مصطلح آخر وهو (علم نظم الإشارات) أي الإشارية (ترجمة) ورفض "العالمية" لأن الإشارية موجودة في التراث العربي فهي أقرب إلى النقد العربي المعاصر .

- عدل مرتاض عن مصطلح (سيموتيكية) إلى (سيمائية) ثم بعد ذلك عدل عن (سيمائية) إلى (سيمائية) مع استخدامه لمصطلح (السيمائيات) .

- مع اختيار مرتاض لمصطلحاته وعدله عن بعضها إلا أنه يقع فيعود على مصطلحات قد عدل عنها في كتاباته المتأخرة مثل (السيمولوجية- السيمائية ...)

أما مصطلح الشعرية فالنتائج المتوصل إليها هي:

- استعمل العرب القدامى مصطلح الشعرية تحت مصطلح (الديباجة-البيان -الماء الشعري - نظرية النظم - القول الشعري ...) بل إن الفارابي استعمل مصطلح (الشعرية) ذاته ، وكذلك بن سينا ، أما عند الغرب فيعود مصطلح الشعرية إلى الفيلسوف اليوناني (أرسطو) في كتابته (فن الشعر) ، أما حديثا فإنه ينطلق مع جاكوبسن تحت مصطلح (الأدبية) الذي حددها بوضوح مع تحديد وظيفتها .

- يعود مرتاض بهذا المصطلح إلى النقد العربي القديم ويقرر بأن كل من الجاحظ وابن قتيبة و الحصري وابن رشيق قد استعملوا هذا المصطلح ولكن تحت أسماء أخرى ، في حين أنه اعتمد على قريماس وكورتيس في تعريفه لمصطلح الشعرية في النقد الجديد .

- في بداية كتابته النقدية رفض ترجمة (La poetique) بالإنشائية أو الشعرية . وفضل مصطلح (البوتيك) . ثم عدل عن البوتيك إلى (الشعرية) ثم ساوى بينهما ، وكذلك ساوى بين (الماء الشعري) و (الأدبية) .

- في بداية كتاباته النقدية ساوى بين (الشاعرية) و (الشعرية)

- استعمل مصطلحا آخرًا إضافة إلى كل هذه المصطلحات وهو (الشعرانية) وقد فرق بينه وبين الشعرية . فالشعرانية poetique ، والشعرية poeticite والشعرانية -حسب مرتاض - هي النظام الشعري لشاعر ما أي هي نظرية الإبداع الأدبي أما الشعرية : هي الصفة أو الحالة التي تميز كتابة ما .

- في كتاب متأخر لمرتاض يقابل مصطلح poetique بمصطلحين عربيين الشعرانية والشعريات في حين أنه فرق بينهما في كتابه (نظرية القراءة)، حيث قابل مصطلح La poetique بالشعريات، و La poeticite بالشعرية ، فالشعريات هي نشاط نقدي يسعى إلى فهم وظيفة الكتابة الشعرية . والشعرية هي المواصفات التي نلتمسها في نص شعري .

وهكذا يصل مرتاض إلى ست مصطلحات (البويتيك- الشعرية- الماء الشعري- الشاعرية- الشعريات- الشعرانية). والسبب في هذا أن المصطلح الغربي عندما ينتقل إلى الثقافة الغربية ينقل معه خصوصيته الغربية وغموضه ، فيضطرب الناقد العربي في فهمه فيحاول تعريبه وترجمته محاولا الوصول إلى مصطلح أدق ومناسب له.

وقد توصل البحث في مصطلح التناص إلى:

- تناول العرب القدامى هذا المصطلح تحت اسم (السراقات الشعرية) (الأخذ) (الانتحال) (الإغارة)(الاقتباس) (النسخ)، وقد فرقوا بين هذه المصطلحات بتفريقات طفيفة.

- ظهر عند العرب على يد الناقد (باختين) ولكنه اكتمل على يد الباحثة (جوليا كرسنيفا)، وقد أثر مرتاض أن يعود بهذا المصطلح إلى النقد العربي القديم ونفى أن يكون هذا المصطلح وليد الحداثة الغربية . مع تفريقه بين السراقات الشعرية و التناص الحالي .

- عزى مرتاض أصل التناص لدى الغرب إلى جان جيروودو ولكن في مصطلح (سراقات) (le vol littéraire) ونشأ كمصطلح شبه مكتمل عند باختين واكتمل عند جوليا كرسنيفا.

- يقرر مرتاض بأن مصطلح (المشترك) الذي طرحه الجرجاني يشبه إلى حد كبير - أو يطابق - مصطلح التناص المعاصر , كما يقرر أن ابن خلدون عندما قال بعملية (نسيان المحفوظ) قد تقاطع مع رولان بارط في فكرته (تضمينات من غير تنصيص) .

- يفرق مرتاض في كتابه (نظرية النص الأدبي) بين التناص والسرقاات , فالتناص لا يبحث عن أسبقية أخذ هذا الشاعر من الآخر بل يهتم بكيفية توظيف هذا الشاعر لنصوص ذلك الشاعر أو غيره وهذا هو مناط الاختلاف بينه وبين السرقاات التي تبحث عن الآخذ و المأخوذ عنه , و رغم تفريق مرتاض بين السرقة و التناص إلا أنه في موضعين من كتابته لا يفرق بينهما .

- اقترح مرتاض مصطلحا آخر للتناص وهو التكااتب وذلك لأن التكااتب أكثر خصوصية من التناص الذي يشتمل اللغة والأسلوب والأفكار , وذلك مصطلح التكااتب بصرف النظر عن جنس الكتابة .

- اقترح مرتاض مصطلح " التناصية " بدلا من التناص في كتابه " السبع المعلمات " ولكنه تراجع عن هذا في كتابه الأخير , واقترح كذلك مصطلح " مقاراة " كمرادف للتناص في كتابه " في نظرية النقد . وهكذا يكون مرتاض قد اقترح أربع مصطلحات للتناص (التناص - التناصية - التكااتب - المقاراة) .

وتوصل البحث بالنسبة لمصطلح الخطاب إلى :

- تعرض العرب القدامى لمصطلح الخطاب , وخاصة " الكفوي " الذي وقف عنده طويلا ووضع عناصره (المخاطب - الخطاب - المخاطب), ومن قبله تعرض أفلاطون - عند الغرب - لهذا المصطلح لكن تحت اسم (المقال) ثم تطور بعد ذلك مع اللسانيات .

واعتبر مرتاض أن مصطلح (النسيج) الذي أطلقه الجاحظ في بعض عباراته هو مصطلح الخطاب في النقد الحديث .

- بعد أن أقر مرتاض أن النسيج هو الخطاب , يضطرب في موضع آخر من كتاباته فيقول بأن الخطاب أوسع من النسيج , ثم اضطرابه في مقابلته لمصطلح الخطاب مرة (DISCOURS) ومرة بـ (LANGAGE) .

- وضع مرتاض للنص خصائصا وفرق بينه وبين الخطاب فخصائصه :

1 - أنه رسالة - 2 - بثت بقصد التلقي - 3 - استقبال المتلقي لها 4 - أدت غاية تبليغية .

والخطاب يختص بالكتابة أما النص فهو أشمل وأرحب وأصل والخطاب فرع , إلا أنه في مواضع أخرى لا يفرق بين النسيج والنص والخطاب .

أما مصطلح الانزياح فنتائجه هي :

- عرف النقاد العرب القدامى الانزياح لكن تحت مصطلح " العدول " الذي اشتهر أكثر من غيره من المصطلحات آنذاك مثل : الغلط - اللحن - الخطأ ومن هؤلاء النقاد : ابن جني (العدول) في كتابه الخصائص - الزمخشري في كتابه الكشاف - عبد القادر الجرجاني (التخير) - سيبويه , وقد تعلق مصطلح العدول عند العرب القدامى بالنحو و البلاغة , ولم يتوسع فيه كما في النقد الأدبي الجديد .

- عرفت اللغة الفرنسية كلمة (ECART) في القرن 12 م . أما كونه كمصطلح فإن النقاد الغربيين لا يفرقون بينه وبين الأسلوب .

- التعدد الذي حصل لهذا المصطلح في الثقافة العربية كان نتيجة التعدد الذي حصل له في الثقافة الأم (الغربية) فسمي : الانحراف - و العدول - والفارق والبعد - والاتساع .

اختار مرتاض مصطلح الانزياح دون الانحراف والعدول لأن الأول غير متداول سيميائيا بل هو متداول في المعاني المادية , أما الثاني فيفتقر إلى قوة مفهومية وخلفية معرفية فهو مجرد أداة لقراءة نحوية , رغم هذا الاختيار والتدقيق فيه إلا أنه يستعمل مصطلحات أخرى "الانزياح" مثل : العدول - الخرق - الانحراف

- التوتير - الانتهاك - التدمير - الفرق - اللحن في كتابه (شعرية القصيدة) ويستعمل (التحريف) في كتابه (نظرية الأدب) .

يوصي الباحث في نهاية بحثه إلى حث المجامع اللغوية على الالتفات إلى جهود الناقد عبد

الملك مرتاض في وضع المصطلحات النقدية , وكذلك يوصي المجامع بجمع حصيلة

مصطلحات خاصة بالمنهج التفكيكي الذي اشتغل عليه مرتاض كثيرا .

والله أعلى وأعلم أبداً.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر :

- 2- مرتاض , عبد الملك ،أ،ي،دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي،ديوان المطبوعات الجامعية , بن عكنون , الجزائر , 1992.
- 3_ مرتاض , عبد الملك ، بنية الخطاب الشعري، دار الحداثة،لبنان، بيروت، ط1، 1986.
- 4- مرتاض , عبد الملك ،تحليل الخطاب السردى معالجة تفكيكية مركبة لرواية زقاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر 1995.
- 5 - مرتاض, عبد الملك- شعرية القصيدة - قصيدة القراءة - دار المنتخب العربي - بيروت 1994.
- 6 - مرتاض , عند الملك- السبع المعلقات (مقارنة سيميائية أنتروبولوجية لنصوصها) - منشورات إتحاد الكتاب العرب (مرقون) .1998.
- 7_ مرتاض , عبد الملك - القصة الجزائرية المعاصرة - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر 1990.
- 8_ مرتاض , عبد الملك ، نظرية القراءة - تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية-دار الغرب للنشر والتوزيع -وهران ،2003.
- 9_ مرتاض , عبد الملك - نظرية النص الأدبي - دار هومة , الجزائر, 2007.
- 10_ مرتاض , عبد الملك- النص الأدبي من أين وإلى أين - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر .1983.

المراجع :

- 11- إبراهيم , عبد الله _ الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة،المركز الثقافي، الدار البيضاء،بيروت، ط 1 1999،.
- 12_ أنيس , إبراهيم وآخرون - المعجم الوسيط - دار الفكر - بيروت (د.ت) .
- 13_ ابن الأثير , عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري -المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر -منشورات دار الرفاعي بالرياض.ج3.
- 14_ ابن جني , عثمان -الخصائص- تح:محمد علي النجار .دار الكتب المصرية .ط 2 .1957. ج2.
- 15_ ابن خلدون , عبد الرحمن بن محمد - المقدمة - تح: عبد الواحد وافي - ج 3 ط3 - دار النهضة مصر 1979
- 16- ابن خلدون , عبد الرحمن بن محمد ،المقدمة(ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر) مراجعة: سهيل زكار،ج1،دار الفكر ،بيروت 2001.
- 17_ ابن سينا , الحسين ابن عبد الله ,فن الشعر،من كتاب الشفاء،ترجمة وتحقيق،عبد الرحمان بدوي،بيروت.
- 18_ ابن قتيبة , عبد الله بن مسلم الدينوري - الشعر والشعراء - مطبعة بريل ليدن ,1902.
- 19_ الأمدي ,أبو القاسم- الموازنة بين أبي تمام والبحتري - وزارة الثقافة والإعلام - العراق 1980
- 20_ ابن منظور , جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري - معجم لسان العرب - دار صادر للطباعة والنشر بيروت 1995 .
- 21_ بارة , عبد الغني- إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر - الهيئة المصرية للكتاب - مصر القاهرة 2005 ط1،
- 22_ البقاعي , محمد خير- دراسات في النص و التناسية- مركز الإنماء الحضاري-حلب-سورية -ط 1 1998-دار المعارف.

- 23_ بن مالك , رشيد- قاموس مصطلحات التحليل السيميائي - دار الحكمة - 2000 م
- 24_ بنيس , محمد - ظاهرة الشعر المعاصر في الغرب ، ط1 ، دار العودة ، بيروت ، 1979.
- 25_ بهنسي , عبد الموجود متولي- رؤية في العدول عن النمطية في التعبير الأدبي, ط1 1993.
- 26_ بوخاتم , مولاي علي- الدرس السيميائي المغاربي - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر 2005.
- 27_ بوخاتم , مولاي علي- مصطلحات النقد العربي السيماءوي (الإشكالية و الأصل و الامتداد)(كتاب مرقون) منشورات إتحاد الكتاب العرب ،دمشق 2005.
- 28_ التهانوي , محمد على الفاروقي ، كشاف اصطلاحات الفنون،تح، لطفى عبد البديع،ج2 الهيئة العامة للكتاب، مصر،1972
- 29_ الجاحظ , عمرو بن بحر بن محبوب الكناني البصري . البيان والتبيين . تح : حسن السندوبي . القاهرة 1947 . ج1
- 30_ الجاحظ , عمرو بن بحر بن محبوب الكناني البصري - الحيوان - دار الكتاب العربي , بيروت , لبنان 1969 , ج3.
- 31_ الجاحظ , عمرو بن بحر بن محبوب الكناني البصري - الحيوان - تح: عبد السلام هارون ج 1 ط2 - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة مصر 1965.
- 32_ الجرجاني , عبد القاهر - دلائل الإعجاز .تح:محمد رشيد رضا.دار المعرفة بيروت 1981.
- 33_ الجرجاني , علي بن محمد الشريف- كتاب التعريفات . مكتبة لبنان . بيروت . ط 1985.
- 34_ الجمحي , محمد بن سلام - طبقات الشعراء - مطبعة بريل , ليدن 1916.
- 34_ حجازي , محمود فهمي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح- دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع (ت ط).

35_ حمودة , عبد العزيز _ المرايا المقعرة - عالم المعرفة - مطابع الوطن - الكويت - أغسطس 2001.

36_ راضي , عبد الحكيم- نظرية اللغة في النقد العربي- مكتبة الخانجي .القاهرة 1980.

37_ الزمخشري , جار الله . الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . دار الكتاب العربي، بيروت، 1987 ، مج4.

38_ الزمخشري محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي ،أساس البلاغة،تح،مزيد نعيم،شوقي المصري،مكتبة لبنان ناشرون،ط1، 1998.

39_ الزبيدي , توفيق ، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب ،تونس،ليبيا ،1984.

40_ السد , نور الدين ،الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة , الجزائر , 1997.

41 - السعدي عبد الرحمان بن ناصر - تفسير السعدي - مكتبة الإيمان - المنصورة مصر دت .

42_ السعدي , مصطفى -التناص الشعري(قراءة أخرى لقضية السرقات) منشأة دار المعارف-الإسكندرية -مصر1991.

43_ السيد , شفيح- الاتجاه الأسلوبي في النقد العربي - دار الفكر العربي - القاهرة 1986.

44_ صبحي , محي الدين- نظرية النقد العربي وتطورها إلي عصرنا- الدار العربية للكتاب -تونس/ليبيا 1984.

45 - صليبا جميل - المعجم الفلسفي - ج1- دار الكتاب اللبناني بيروت - ط1 1973

46_ طرابيشي , جورج, معجم الفلاسفة , دار الطليعة للطباعة والنشر , بيروت ط1 , 1987.

47_ العسكري , أبو هلال الحسن بن عبد الله - كتاب الصناعتين - تحقيق أبي الفضل إبراهيم - ط دار إحياء الكتب العربية - 1952.

48_ العسكري , أبو هلال الحسن بن عبد الله ،الفروق في اللغة ،دار الآفاق الجديدة ،بيروت،ط 4، 1964.

- 49_ علوش , سعيد -معجم مصطلحات الأدبية المعاصرة- منشورات المكتبة الجامعية .الدار البيضاء 1984.
- 50 _ العلوي محمد أحمد بن طباطبا - عيار الشعر تح : عباس عبد الساطر - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان ط1 1982 .
- 51_ عناني , محمد- المصطلحات الأدبية الحديثة - الشركة المصرية للنشر - لوجمانة الجيزة - ط3 - 2003.
- 52_ عياد , شكري- مدخل إلى علم الأسلوب - دار العلوم -الرياض 1982.
- 53_ العيد , يمني _ في القول الشعري، دار توبقال، للنشر، المغرب، ط1، 1987.
- 54_ الغزالي , عبد الله محمد ،الخطيئة والتكفير(من البنيوية الى التشريحية قراءة نقدية للنموذج معاصر)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط4 1998.
- 55_ الغزالي , عبد الله-الخطيئة و التكفير - ط1-النادي الأدبي الثقافي ج\1985.
- 56_ الغزالي , أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ، معيار العلم ،تح:سليمان دنيا ،دار المعارف القاهرة ط2 (د.ت).
- 57_ الفارابي , محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان ،جوامع الشعر(ملحق بكتاب تلخيص الشعر لابن رشد)، تحقيق : محمد سليم سالم ،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ،القاهرة، 1971.
- 58_ الفارابي , محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان ،كتاب الحروف تحقيق،محسن مهدي، دار المشرق , بيروت، ط 2, 1990 .
- 59 - فضل صلاح - نظرية البنائية في النقد الأدبي - مؤسسة مختار - القاهرة - مصر - 1992 .
- 60 - القاسمي علي - مقدمة في علم المصطلح - مكتبة النهضة المصرية - مصر القاهرة ط2 1987.

- 61_ القرطاجني , حازم بن محمد بن حازم ،منهاج البلغاء و سراج الأدباء،تح :محمد الحبيب بن الخوجة ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ،1986
- 62_ القيرواني , الحسن بن رشيق . العمدة . تح : محمد محي الدين عبد الحميد . نشر المكتبة التجارية بالقاهرة ودار الجيل . بيروت ج2.
- 63_ القيرواني , الحسن بن رشيق - العمدة في صناعة الشعر ونقده , ط مطبعة السعادة بالقاهرة 1907 .
- 64_ الكفوي , أبو البقاء ، الكليات، القسم الثاني، تح، عدنان درويش، محمد الحصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1982.
- 65- مبارك , مبارك - معجم المصطلحات الألسنية ،دار الفكر اللبناني ، بيروت1995.
- 66_ مدني , محمد- النقد وترجمة النص المسرحي - دار الهدى - دت
- 67_ المرزباني , أبو عبيد الله بن عمران - الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء - ط المطبعة السلفية بالقاهرة 1343هـ.
- 68_ المسدي , عبد السلام ،الأسلوب والأسلوبية،الدار العربية للكتاب،ط3.
- 69_ المسدي ,عبد السلام- المصطلح النقدي- مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع - تونس - 1994.
- 70_ مندور , محمد- النقد المنهجي عند العرب -دار النهضة المصرية للطبع و النشر .مصر .د.ت.
- 71_ ناظم , حسن ،مفاهيم شعرية(دراسة مقارنة في الأصول والمنهج و المفاهيم)،المركز الثقافي، بيروت، ط1 1994.
- 72_ وغيلسي , يوسف - إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد - منشورات الاختلاف - الدار العربية للعلوم - الجزائر العاصمة الجزائر ط1 2008 67- عبد الكريم 73- محمد حسن جبل - في علم الدلالة - دار المعرفة الجامعية - مصر ، 1997

74_ وهبة , مجدي- معجم مصطلحات الأدب مكتبة لبنان- بيروت 1974.

75_ يقطين , سعيد ، تحليل الخطاب الروائي، المركب الثقافي العربي،بيروت، الدار البيضاء،1989.

المراجع الأجنبية باللغة الفرنسية

Georges Mounin _ Dictionnaire de linguistique_ 4 edition_ 2004_6avenpe-76
reille 75014 Paris _ presse universitaires de france .

Jean dubois et autres _ Dictionnaire de linguistique et des sciences-77
du langage.

21 rue du montparnqsse 75283 _ paris cedex 06

Le petit Larousse : Paris cedex 06_ 1999 _ 21 Rue du Montparnasse 75283_-78

المراجع الأجنبية المترجمة

- 79_ آريفة , ميشال وآخرون ، السيميائية أصولها و قواعدها، تر:رشيد بن مالك (من مقدمة عز الدين المناصرة) منشورات الاختلاف الجزائر 2002
- 80_ انجنيو, مارك - مفهوم التناص في الخطاب النقدي الجديد-تر:احمد المديني-دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد1987.
- 81 - إيكو إمبرتو - السيميائية وفلسفة اللغة - تر : أحمد الصمعي - المنظمة العربية للترجمة - بيروت لبنان - ط1 2005.
- 82 - بارت رولان - لذة النص - تر : محمد خير البقاعي - المجلس الأعلى للثقافة - المشروع القومي للترجمة - 1998.
- 83_ بارت , رولان- نظرية النص -تر :محمد خير البقاعي -العرب و الفكر العالمي -بيروت.ع 3- 1988.
- 84_ تشاندلر ، دانيال _ معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات ،تر:شاكر عبد الحميد،أكاديمية الفنون،مطابع المجلس الأعلى للآثار ،2002.
- 85_ تودوروف , تزفيتان - الشعرية - تر : شكري المبخوت و رجاء بن سلامة - دار توبقال للنشر - الدار البيضاء المغرب ط1 - 1987ص.
- 86_ تودوروف، تزفيتان _ الشعرية، تر: شكري المبخوت،رجاء سلامة،دار توبقال،المغرب،ط2 1990.
- 87_ جان لوي، كابانس _ النقد الأدبي والعلوم الإنسانية .تر: فهد عكام،دار الفكر ،دمشق ،ط1-1982.
- 89_ جيرو، بيير :علم الإشارة (السيمولوجيا) ،تر:منذر عياشي، دار طلاس للدراسات و الترجمة دمشق ،ط11، 1988،
- 90_ دي سوسير، فيردينان _ علم اللغة العام،تر:ديونيل يوسف عزيز،بيت الموصل ،الموصل ،ط 3 1988،
- 91_ فوكو، ميشيل _ حفريات المعرفة، تر : سالم يفوت , المركز الثقافي العربي , الدار البيضاء , بيروت , 1986.

92_ مونقانو، دومنيك _ المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر، محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر 2005.

المجلات والدوريات :

- 93_ المنور، النوي: "مسألة المصطلح في الترجمة العلمية والتقنية" - مجلة المجلس الأعلى للغة العربية - الجزائر العاصمة - الجزائر - 2004.
- 94_ الجيلالي، أحلام: «نحو دليل تشريعي عربي لترجمة المصطلح العلمي» مجلة المجلس الأعلى للغة العربية - الجزائر العاصمة.
- 95_ أبو حسن، أحمد: "مدخل إلى علم المصطلح" مجلة الفكر العربي المعاصر - ع61/60 - 1989
- 96_ حساني أحمد: "إشكالية المصطلح في الترجمة اللسانية - مجلة المجلس الأعلى للغة العربية - الجزائر - 2004
- 97_ كساب عياط، حامد: "المصطلح النقدي العربي الحديث - المشكلات والحلول" - مجلة النص والنّاص - ع 04، 05 أبريل جويلية 2005 - منشورات جامعة جيجل - جيجل.
- 98_ بعلي، حفناوي: "إشكالية ترجمة المصطلح النقدي - مصطلح الشعرية في الخطاب العربي" - مجلة النص والنّاص - ع 4، 5 - أبريل جويلية 2005.
- 99_ مبارك، حنون " في السيميائيات العربية" مجلة دراسات أدبية ولسانية، فاس، ع05، 1985.
- 100_ العيس، سالم - الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية - منشورات اتحاد الكتاب العرب - 1999.
- 101_ مرتاض، عبد الملك: " بين النّاص و التّكاتب " مجلة قوافل - النادي الأدبي - الرياض - السعودية مجلد 04 ع 07 1996.

102_ حسن عبد العزيز, محسن: «المصطلح العلمي العربي، المبادئ والآليات» مجلة فصول الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر ع66-2005.

103_ بلقاسم, محمد - «المصطلح في النقد العربي المعاصر - الإشكالية والتطبيق» مجلة النص والنّاص، ع04-05، أبريل جويلية 2005 جامعة جيجل.

104_ زرمان, محمد: "الترجمة في الوطن العربي - إكراهات الواقع وتصورات المستقبل" - مجلة المجلس الأعلى للغة العربية - الجزائر - 2004 .

105_ عبيد منقور, ميلود: "إشكالية المصطلح النقدي - مصطلحات السيميائية السردية نموذجاً" - مجلة التراث العربي - اتحاد الكتاب العرب - دمشق - ع 104 - كانون الأول - 2006.

الفهرست

مقدمة.....أ ب ت

الفصل الأول : المصطلح و المصطلحية

06.....المبحث الأول: المفهوم و الضوابط

06.....أولاً: مفهوم المصطلح

06.....1- المصطلح لغة

07.....2 - المصطلح اصطلاحاً

09.....ثانياً: المصطلح عند القدامى

12.....ثالثاً: علم المصطلح

15.....رابعاً: تقنيات و ضوابط وضع المصطلح

19.....المبحث الثاني: المصطلح في الخطاب النقدي العربي

19.....أولاً: المصطلح و البيئة

20.....ثانياً: المصطلح و الترجمة

الفصل الثاني : أصول المصطلح النقدي السيميائي عند مرتاض

28.....المبحث الأول : أصول مصطلح السيميائية

28.....1- تعريف المصطلح

28.....1.1- لغة

28.....1.1- أ - عند العرب

29.....1.1- ب - عند الغرب

30.....1.1- ج - استخلاص

- 2-1 - اصطلاحا.....30.....
- 2-1 - أ - عند العرب.....30.....
- 2-1 - ب - عند الغرب.....32.....
- 2 - مصادر مصطلح السيمبائية عند مرتاض.....35.....
- المبحث الثاني : أصول مصطلح الشعرية/ الأدبية:.....39.....
1. تعريف المصطلح.....39.....
1. 1 - لغة.....39.....
- 1.1 - أ - عند العرب.....39.....
- 1.1 - ب - عند الغرب.....39.....
- 1.1 - ج - استخلاص.....39.....
- 1 - 2 - اصطلاحا.....39.....
- 2-1 - أ - عند العرب.....39.....
- 2-1 - ب - عند الغرب.....41.....
2. أصول مصطلح الشعرية/الأدبية عند مرتاض.....42.....
- المبحث الثالث : أصول مصطلح التناص:.....45.....
1. تعريف المصطلح.....45.....
- 1 - 1 - لغة.....45.....
- 1.1 - أ - عند العرب.....45.....

- 45.....1.1- ب . عند الغرب.
- 45.....1.1- ج . استخلاص.
- 46.....2.1- اصطلاحا.
- 46.....2.1- أ - عند العرب.
- 49.....2.1- ب - عند الغرب.
- 50.....أولا- التناص عند رولان بارت.
- 51.....ثانيا - التناص عند جيرار جينيت.
- 52.....2 _ أصول مصطلح التناص عند مرتاض.
- 52.....2.1- الجرجاني والسراقات الشعرية.
- 53.....2.2- الجاحظ والسراقات الشعرية.
- 53.....2.3- ابن طباطبا والسراقات الشعرية.
- 54.....2.4 - مرتاض ونقده لنظرية التناص.
- 56.....المبحث الرابع : أصول مصطلح خطاب:
- 56.....1- تعريف المصطلح.
- 56.....1.1 - لغة.
- 56.....1.1- أ . عند العرب.
- 57.....1.1- ب . عند الغرب.
- 57.....1.1- ج . استخلاص.

57..... 2-1 - اصطلاحا

57..... 2-1 - أ - عند العرب قديما

58..... 2-1 - ب - عند العرب حديثا

60..... 2-1 - ج - عند الغرب

61..... 2 -_ أصول مصطلح الخطاب عند مرتاض

63..... المبحث الخامس : أصول مصطلح الانزياح

63..... 1 - تعريف المصطلح

63..... 1 . 1 - لغة

63 1-1 - أ. عند العرب

63 1 . 1 - ب - عند الغرب

64..... 1-1 - ج - استخلاص

64..... 2 . 1 - اصطلاحا

64..... 2-1 - أ - عند العرب

65..... 2-1 - ب - عند الغرب

67 2 _ أصول مصطلح الانزياح عند مرتاض

الفصل الثالث : توظيف المصطلح السيميائي عند مرتاض

70..... المبحث الأول : مصطلح السيميائية

77.....	<u>المبحث الثاني</u> : مصطلح الشعرية / الأدبية
85.....	<u>المبحث الثالث</u> : مصطلح التناس
92.....	<u>المبحث الرابع</u> : مصطلح الخطاب
97.....	<u>المبحث الخامس</u> : مصطلح الانزياح
102.....	خاتمة
110.....	المصادر والمراجع

الفهرست